كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بدمياط الجديدة
المجلة العلمية
العدد (١١) ديسمبر ٢٠٢٢م

القراءات القرآنية

فيما تيسر من سورة يونس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ

وأثرها البياني

"أربع آيات محل الدراسة أنموذجًا"

الدكتور

ياسر السيد السيد نوير

كلية القرآن الكريم

جامعة الأزهر

الملخص باللغة العربية والإنـجليزية

حاولت الدراسة الكشف عن أَثَر اختلاف القراءات القرآنية في سورة يونس ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ من الناحية البيانية؛ إذ تَطَلَّبَتْ هذه الدراسة بيان معنى كل قراءة بداية، ثم اتِّسَاق معنى كل قراءة في آيها بِوَجْهٍ؛ ليُعْطِيَان معًا ـ القراءتان ـ إثراءً لمعاني الآية من جهة؛ كذا تأكيدًا للوِحْدَة الموضوعية للسورة من جهة أُخْرَى، ولتحقيق هذا الهدف؛ تَتَبَّعَت الدراسةُ خمس كلمات من مفردات سورة يونس في أربع آيات قُرِأَتْ كل كلمة على وجهين ـ قراءتين ـ مجمع على تواترهما جميعًا، ومع هذا الاختلاف أَمْكَنَ الجمع بين القراءتين، فجاءت القراءتان بمعانٍ متَوَافقَة ومتَّسِقَة في آيها، كذا موطِّئَة للوحدة الموضوعية للسورة بأسرها، وبعد دراسة الآيات الأربع من السورة الكريمة تَوَصَّلَتْ الدراسةُ إلى بعض النتائج منها:

ـ أظْهِرتْ القراءتانِ ﴿لَسَاحِرٌ﴾ و ﴿لَسِحْرٌ﴾ معاً تخبط المشركين من جانب، وكَذِبِهم وافترائِهم على القرآن، وعلى سيدنا النبي ـ ﷺ ـ.

ـ دَلَّتْ قراءة ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ﴾ بكسر الهمزة مستأنفة؛ لِتَدُلَّ على أَنَّه ـ سبحانه ـ الذي بدأ الخلق لا أحد سواه، ثم جاءت قراءة ﴿أَنَّهُ يَبْدَأُ﴾ بفتح الهمزة تعليلاً للقراءة الأولى وتأكيدًا لحقيقة الوعد.

ـ كانت قراءة ﴿ضِيَاءً﴾ وصفاً حيًا واقعيًا على انتشار ضوء الشمس وقوة حرارته، ثم جاءت قراءة ﴿ضِئَاءً﴾؛ لتبين للمؤمنين قدرته تعالى على إبدال المخلوقات من حال إلى آخر.

ـ من قرأ بالياء ﴿يُفَصِّلُ﴾ فالمعنى: قل يا محمد لقومك الله يفصل البراهين والآيات ويدبر الأمر، ومن قرأ بالنون في قوله تعالى ﴿نُفَصِّلُ﴾ فهو إخبار عن

فعل اللَّهِ . تعالى . بلفظ الجماعة؛ على وجه الالتفات من الغيبة إلى المتكلم المعظم نفسه، وغرض الالتفات؛ لفت انتباه السامع.

. تكاملت القراءتان: ﴿لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ﴾ و ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾؛ إذ أَكَّدَتْ القراءة الأولى بالبناء للفاعل أَنَّ الله تعالى قضى آجال المخلوقين في وقت محدد لم ولن يَتَغَيَّر أبدًا، أما القراءة الأخرى بالبناء لمن لم يُسَمَّ فاعله ففيها معنى السرعة؛ إذ أخذ المفعول حكم الفاعل فارتفع بعد أَنْ كان منصوباً، فوصل الفعل إلى مفعوله مباشرة، فقد أَخَذَ هذا الأمر من الفاعل مسبقًا وَوُضِعَ في كِيَانِه ونِظامِه مسبقًا فإذا جاء وقته المحدد مات من فوره.

. كما كشفت الدراسة عُمْقَ الصلة الوثيقة بين القراءات القرآنية من جهة، وعلوم العربية والبلاغة والتفسير من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: القراءات القرآنية - سورة يونس- الآية – الأثر - البيان.

Abstract

The study attempted to reveal the impact of the different Qur'anic readings in Surat Yunus on our Prophet, may the peace and blessings of God be upon him, from a graphical point of view. This

study required a clarification of the meaning of each recitation at the beginning, and then the consistency of the meaning of each recitation in its verse. Together, the two readings give confirmation of the meaning of the verse on the one hand; As well as enriching the objective unity of the surah on the other hand, and to achieve this goal; The study followed five words from the vocabulary of Surat Yunus in four verses, each word was read on two sides - two readings - unanimously agreed on their frequency, and with this difference it was possible to combine the two readings,

- The two readings ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ﴾and "to sorcerer" together Revealed the confusion of the polytheists on one side, and their lies and slander against the Qur'an and our master the Prophet - may God's prayers and peace be upon him, The reading ﴿أَنَّهُ يَبْدَأُ﴾ came with the opening of the hamza as an explanation for the first reading and confirmation of the reality of the promise.

- The reading of ﴿ضِيَاءً﴾was a vivid and realistic description of the spread of sunlight and the strength of its heat, then came the reading of ﴿ضِئَاءً﴾; To show the believers His ability to change creatures from one state to another.

- Whoever recites Ya'a, ﴿يُفَصِّلُ﴾means: Say, Muhammad, to your people, God separates the proofs and verses and manages the matter. On the face of paying attention from backbiting to the Great Speaker himself, ﴿نُفَصِّلُ﴾and the purpose of paying attention; Attract the listener's attention.

- The two readings are complementary: ﴿لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ﴾, and ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾; The first reading of the construction of the actor confirmed that God Almighty decreed the life of the creatures at a specific time that will never, As for the other reading of building for the one whose doer is not named, it has the meaning of speed.

Keywords: Quranic Readings - Surat Yunus - Alaya - Trace - Statement.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد :

فقد أنزل الله ـ تعالى ـ كتابه العزيز بلغات شتى؛ لِيَقْرَأَ الناسُ القرآنَ الكريمَ بما اعْتَادَتْ عليه ألسنتُهم، ومع هذا كانت لتلك الكلمات المختلفة في اللفظ معانٍ متفقة ـ القراءات القرآنية ـ؛ لتأكِّدَ كل قراءة القراءة الأخرى، أو مختلفة؛ لِتُثْرِيْ معني الآية، أو تتكامل معها، بلا تناقض أو تنافر أو تضاد؛ لذا أَحْبَّ الباحث أَنْ يخوض غِمَار هذا البحر اللُّجِيّ، ولَمَّا كان البحر غائرًا والأُفُق واسعًا، أَرْسَى بشرائع الأمل مع انكسار وخضوع ومهابة إلى معان بيانية؛ أَيْقَظَتْ شغاف فؤاده؛ فاطْمَأَنَّ قلبُهُ، بعد أَنْ جاءتْ المعونةُ وفُتِحَتْ آفاق الأمل، وكانت الدراسة منصبة على أربع آيات من سورة يونس ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ؛ في كل آية منها كلمة، أو كلمتين ـ المبحث الثالث ـ قُرِأَتْ كل كلمة منها بقراءتين مختلفتين، حاولتْ الدراسة معرفة معانيهما من جهة، وأوجههما البيانية من جهة أخرى؛ وصولًا لمعرفة أثر القراءتيْنِ المختلفتينِ في الآية معنًى وبيانًا من ناحية، وتأكيدًا للوحدة الموضوعية للسورة بأسرها من ناحية أخرى، وها أنا ذا أُدْلي بدلوي منكسرًا إلى مولاي مفتقرًا إليه ـ سبحانه ـ.

أسباب اختيار البحث:

كان لاختيار هذا البحث دوافع وأسباب أهمها:

١. علاقة هذا الموضوع بخمس كلمات في أربع آيات قُرِأَتْ كل كلمة على وجهين ـ قراءتين ـ مجمع على تواترهما جميعًا.
٢. بيان أوجه الاختلافات اللفظي؛ لإثراء معنى الآية من جهة، وتأكيدًا لوحدتها الموضوعية من جهة أخرى؟
٣. بيان وجه من أوجه إعجاز القرآن؛ إذ جاءت الكلمة بوجهين مختلفين ـ قراءتين ـ لدلالتين متنوعتين، ومع ذلك لم يتناقضا أو يتضادا، بل اتَّسِقتْ معنى القراءة

الأخرى مع معنى القراءة الأولى من جهة، وأَثْرَتْ معنى الآية وتوافقت معها من جهة أخرى.

٤. إبراز الأوجه البيانية للقراءتين القرآنيتين على اختلاف لفظيهما.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في الإجابة عن سؤال رئيس، وأسئلة فرعية.

السؤال الرئيس:

ما المعاني التي أفادتها كل قراءة؛ إثراءً لمعاني الآية من جهة، وتأكيدًا لوحدتها الموضوعية من جهة أخرى؟

وينبثق من هذا السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية التالية:

١. ما معنى كل قراءة من القراءتين المختلفتين لفظًا؟

٢. هل اختلفتْ القراءتان معنًى؛ لاختلاف لفظيهما؟

٣. هل أمكن الجمع بين القراءتين المختلفتين في المعنى؟

٤. هل اتَّفَقَتْ القراءتان بوجه أو اتَّسَقَ معناهما مع اختلاف لفظيهما ومعنيهما؟

٥. ما الأوجه البلاغة التي أفادتها تلك القراءات ـ موضع البحث ـ بما يخدم معاني الآية من جهة، كذا الوحدة الموضوعية للسورة من جهة أخرى؟

أهداف البحث:

١. الدفاع عن تلك القراءات المختلفة لفظًا ومعنًى؛ ببيان تلك المعني من جهة، ومدى اتِّفَاقَهَا واتِّسَاقِهَا من جهة أخرى.

٢. إظهار وجه من أوجه إعجاز القرآن الكريم؛ إذ استعمل كلمتين مختلفتين لفظًا ومعنًى ومع ذلك لم يتنافرا أو يتناقضا.

٣. التأكيد على عجز العرب الأقحاح ـ الخُلَّص ـ على أَنْ يأتوا بمثل القرآن مع بلاغتهم، واتِّساع الوقت لمعارضته.

٤. بيان مدى اتِّفَاق القراءتين من جهة، وما تفرَّدَتْ به كل قراءة من جهة أُخْرى.

٥. بيان الأوجه البيانية التي أفادتها كل قراءة، مع بيان اتِّساق تلك الأوجه على كل قراءة؛ وصولًا لمعنى إجمالي للآية الكريمة.

٦. إظهار العلاقة بين القراءات القرآنية من جهة، والتفسير وعلم البلاغة من جهة أخرى.

حدود البحث:

وقع الاختيار على خمس كلمات اختلف فيها القراء العشرة المتواترة قراءتهم؛ إذ قُرِأَتْ كل كلمة بلفظين مختلفين لمعنيين مختلفين في سورة يونس ـ على نبينا والسلام ـ، ومع ذلك لم يفترقا ولم يتنافرا أو يتضادا، بل اتَّسَقَا وأَثْرَتْ كل قراءة منهما معنى الآية؛ لتحمل الآية معنًى متكاملًا بلفظ موجز.

الدراسات السابقة:

من خلال الاطلاع ـ حسب الطاقة ـ على ما كُتب حول البحث، وجد الباحث بعض الأبحاث والدراسات التي اهْتَمَّتْ بدراسة القراءات في سورة يونس ومنها:

١. الإعجاز البياني للقراءات السبع المتواترة ودلالته في سورة يونس، بحث للدكتورة أمل إسماعيل صالح، مجلة تبيان للدراسات القرآنية، ٢٠٢٠م، العدد:٣٨، دَرَسَتْ فيه الباحثة فرش الحروف ـ المفردات التي فيه أكثر من قراءة دون غيرها ـ في سورة يونس على القراءات السبع فقط مع بيان أثرها البياني باقتضاب وإيجاز، وجاءت هذه الدراسة؛ لتدرس القراءات العشر بدلاً من القراءات السبع، كذا بيان جذر كل كلمة ـ موضع البحث ـ، كذا معنى الآية، وصولاً إلى الأثر البياني للآية باتِّسَاع وإطناب.

٢. تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور: الأنفال والتوبة ويونس، رسالة ماجستير للباحثة أحلام مصباح أبو شعبان، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠٠٦، تَكَلَّمَتْ فيه الباحثة عن معاني الآيات التي حَوَتْ القراءات ومناسبتها لما قبله وما بعدها كذا سورتها والسورة التي قبلها والتي بعدها،

ونبي الله يونس ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ وموضوع السورة، ثم عَرَّجَتْ على القراءات في السورة الكريم ببيان معانيها باختصار، ولم تُعَوِّل على الجانب البياني.

٣. الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة، أحمد بن محمد الخراط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ، والكتاب عبارة عن دراسة مختصرة تحتوي على إحدى وثمانين قراءة من فرش الحروف ـ الكلمات التي فيها اختلاف دون غيرها ـ ولم يدرس من سورة يونس إلا آيتين الأولى قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [يونس: ٢٢]، والثانية قوله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ﴾ [يونس:٣٠]، والآيتان غير داخلتين في هذه الدراسة.

٤. التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، أحمد سعد محمد، ط٢، ١٤١٨هـ، مكتبة الآداب، القاهرة، والكتاب في أصله رسالة دكتوراه، تحدث فيه عن الظواهر الإعرابية والصرفية والبلاغية، ولم يستشهد إلا بآية واحدة هي قوله تعالى في سورة يونس ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ﴾ [يونس:٣٠]، وهذه الآية لم تبحث في هذه الدراسة.

واختلف هذا البحث عن الدراسات السابقة في الآتي:

١. بيان المعنى المعجمي لكل مفردة على كل قراءة، مع بيان أوجه الاختلاف بينهما.
٢. توجيه كل قراءة من القراءتين ببيان معنيهما.
٣. الجمع بين معنى القراءتين وبيان الأثر المترتب لهذا الجمع.
٤. إبراز وجه من أوجه إعجاز القرآن بتسليط الضوء على الأوجه البيانية لتلك القراءات.

منهج البحث:

سيعتمد هذا البحث على المنهج الاستقرائي: بتتبع كتب القراءات المتواترة المعتمدة؛ لاستخراج القراءات التي في سورة يونس ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ أربع آيات ـ

كل كلمة . موضع البحث . قُرِأَتْ بقراءتين مختلفتين لفظاً ومعنًى ومع ذلك لم يَتَنَافَرَا أو يَتَنَاقَضَا، فمنهج تحليل المضمون، وهو: أحد أشكال المنهج الوصفي: بتتبع معاني تلك القراءات؛ لبيان مدى اتِّساقها مع الإيضاح عن الإضافات التي أضافتها كل قراءة لمعنى القراءة الأخرى، ثم أُتْبِعَ بالمنهج النقدي: ببيان الفروق بين المعنيين المختلفين؛ إثراءً لمعني الآية من جهة، وتأكيداً للوحدة الموضوعية للسورة من جهة أخرى.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يتألف من مقدمة، وتوطئة، وأربعة مباحث، وخاتمة، على النحو الآتي:

أما المقدمة فتناول الباحث فيها: أسباب اختيار البحث، ومشكلة البحث، وأهداف البحث، وحدود البحث،

والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطة البحث.

وأما التوطئة: فتناول الباحث فيها.

أولًا: تعريف الكلمات المفتاحية .

ثانيًا: التعريف بسوره يونس.

ثالثًا: محور السورة، وعمودها الرئيس.

المبحث الأول: الاختلاف في قوله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢ ﴾ [يونس:٢]

المطلب الأول: القراءات القرآنية المتواترة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢ ﴾

المطلب الثاني: المعنى المعجمي للسِحْر.

المطلب الثالث: توجيه القراءتين ﴿لَسَاحِرٌ﴾،﴿لَسِحْرٌ﴾.

المطلب الرابع: جمع معنى القراءتين ﴿لَسَاحِرٌ﴾، و﴿لَسِحْرٌ﴾.

المبحث الثاني: الاختلاف في قوله تعالى:

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾ [يونس:٤].

المطلب الأول: القراءات القرآنية المتواترة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ قرأ أبو جعفر بفتح الهمزة في ﴿أَنَّهُ يَبْدَأُ﴾، وقرأ الباقون بكسرها ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ﴾.

المطلب الثاني: المعنى المعجمي للبَدْء.

المطلب الثالث: توجيه القراءتين ﴿أَنَّهُ يَبْدَأُ﴾ ،﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ﴾.

المطلب الرابع: جمع معنى القراءتين ﴿أَنَّهُ يَبْدَأُ﴾ ،﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ﴾.

المبحث الثالث: الاختلاف في قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ [يونس:٥].

المطلب الأول:

أ ـ القراءات القرآنية المتواترة في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾ قرأ قُنْبُل عن ابن كثير بهمزة مفتوحة بعد الضاد ﴿ضِئَاءً﴾، وقرأ الباقون بياء مفتوحة مكان الهمزة ﴿ضِيَاءً﴾[(١)].

ب ـ القراءات القرآنية المتواترة في قوله تعالى: ﴿يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وحفص بالياء، وقرأ الباقون بالنون[(٢)].

---

(١) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، جـ٢، صـ٢٨٢، الصفاقسي، أبو الحسن، علي بن محمد بن سالم، النوري، المقرئ، المالكي(ت: ١١١٨هـ)، غيث النفع في القراءات السبع، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، ط: الأولى، ١٤٢٥ هـ: ٢٠٠٤ م، صـ٢٨٤.

(٢) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، جـ٢، صـ٢٨٢، ابن الجزري، شمس الدين، أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف(ت: ٨٣٣هـ) تحبير التيسير في القراءات العشر، تحقيق: د. أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان، الأردن، عمان، ط: الأولى، ١٤٢١هـ: ٢٠٠٠م، صـ٣٩٧.

المطلب الثاني: المعنى المعجمي للكلمتين الشريفتين.

المطلب الثالث: توجيه القراءتين:﴿ضِيَاءً﴾،﴿ضِئَاءً﴾.

المطلب الرابع: جمع معاني الآية الكريمة.

المبحث الرابع: الاختلاف في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾ [يونس:١١].

المطلب الأول: القراءات القرآنية المتواترة في قوله تعالى:﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾.

المطلب الثاني: المعنى المعجمي للقضاء، والأجل.

المطلب الثالث: توجيه القراءتين: ﴿لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ﴾ و ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾.

المطلب الرابع: جمع معاني الآية الكريمة، وَأَوْجُهِهَا البيانية.

توطئة

القرآن الكريم كلام الله المعجز، ومن إعجاز القرآن المجيد وُجُوْهُه البلاغة، وإعجاز ألفاظه وصياغة كلماته، وجُمَلِه، ومن العجب عند تدبر سوره تجد أَنَّ لكل سورة موضوع تتحدث عنه وتعالجه، ومن أعجب العجب أَنَّك تجد الآيات التي فيها قراءات مختلفة تسلط الضوء على تلك القضية التي تتحدث عنها السورة بشكل لافت

لنظر المتأمل المنصف؛ لتدل الآيات في سورها، والسور في كتاب الله المنزل على وحدانية من أنزلها.

أولًا: تعريف الكلمات المفتاحية: " القراءات القرآنية - سورة يونس - الأثر – البيان" .

القراءة تأتي في اللغة: بمعنى الجمع، وكل شيء جمعته فقد قرأته؛ ولذلك سمي القرآن قرآنًا؛ لأنَّه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض(١).

والقراءة في الاصطلاح: مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء، مخالفًا به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها(٢).

السورة في اللغة: إمَّا أَنْ تكون مشتقة من سور المدينة، شبهت به لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسور، أو من التسوّر، بمعنى التصاعد والتركيب، لعلوِّ شأنها وشأن قارئها، وتطلق أيضًا على المنزلة الرفيعة، قال النابغة:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ... ترى كل ملك حولها يتذبذب

السورة في الاصطلاح: طائفة من الآيات القرآنية لها بدء ونهاية(٣).

---

(١) ابن منظور، جمال الدين، أبو الفضل، محمد بن مكرم بن على، الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط: الثالثة، سنة: ١٤١٤ هـ جـ:٤، صـ:٥، الفيروزآبادى، مجد الدين، أبو طاهر محمد بن يعقوب(ت: ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: الثامنة، ١٤٢٦ هـ: ٢٠٠٥ م، صـ:٣٤١.

(٢) الزُّرْقاني، محمد عبد العظيم(ت: ١٣٦٧هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: الطبعة الثالثة، جـ:١، صـ:٤١٢.

(٣) الفراهيدي، أبو عبد، الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم ا البصري(ت: ١٧٠هـ)، كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال جـ:٧، صـ:٢٨٩، الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور(ت: ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى، سنة: ٢٠٠١م، جـ:٧، صـ:٢٨٩.

البيان في لغة: تأتي بمعنى الكشف، والإيضاح، والظهُور[١].

البيان في الاصطلاح: أصولٌ وقواعدُ، يعرف بها إيرادُ المعنى الواحد، بطرق يختلف بعضُها عن بعض، في وُضوح الدّلالة العقلية على نفس ذلك المعنى، فالمعنى الواحد: يُستطاع أداؤه بأساليب مُختلفة، في وضوح الدّلالة عليه[٢].

ـ الأثر في اللغة:

الهمزة والثاء والراء، لها ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء الباقي. فالأول وهو تقديم الشيء: كأَنْ تقول افعل يا فلان هذا آثِراً ما، أي: إنْ اخترت ذلك الفعل فافعل هذا وإمَّا لا، وقال ابن الأعرابي: معناه: افعله أوَّلَ كلِّ شيء، والثاني وهو ذكر الشيء: ومنه قول ابن عمر – رضي الله عنهما -: ما حلفت بعدها آثِرًا ولا ذاكرًا، فقوله: آثِراً: أي مخبرًا عن غيري أَنَّه حلف به، والثالث وهو رسم الشيء الباقي: قال الخليل: والأثر بقية ما يرى من كل شيء، وما لا يرى بعد أن تبقى فيه علقة[٣].

ـ الأثر في الاصطلاح:

(١) الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر(ت: ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الأولى، ١٣٧٦ هـ: ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، جـ:١، صـ:٢٦٣،

جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية، خصائص السور، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، ط: الأولى، سنة: ١٤٢٠ هـ، صـ:٢١، محمد بكر إسماعيل (ت: ١٤٢٦هـ)، دراسات في علوم القرآن، دار المنار، ط: الثانية ١٤١٩هـ:١٩٩٩م، صـ:٥٦.

(٢) الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، تحت عنوان: كلام في فن المعاني والبيان، حققه ورتبه: أبو مصعب، محمد صبحي بن حسن حلاق، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء – اليمن، جـ ١٢، صـ: ٦٠٦٢، الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى (ت: ١٣٦٢هـ) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، صـ:٢١٦.

(٣) الجوهري، الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد(ت: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط: الرابعة، سنة: ١٤٠٧ هـ: ١٩٨٧ م، جـ:٢ صـ:٥٧٤، الفارسي، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي(ت: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط: ١٣٩٩هـ: ١٩٧٩م، جـ:١ صـ:٥٤، ابن منظور، لسان العرب، جـ:١ صـ:٥٤

هو علم الوثائق والمخلفات القديمة[١].

ثانيًا: التعريف بسوره يونس.

سورة يونس مكية إلا في آية واحدة نزلت في المدينة المنورة وهي قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس:٤٠][٢]،

وقيل مكية إلا ثلاث آيات، وهي قوله تعالى:

﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [يونس ٩٤:٩٧][٣]، ويقع ترتيب سورة يونس في القرآن الكريم في الترتيب العاشر ويبلغ عدد آيات السورة مائة وتسعة آية، ويبلغ عدد كلمات سورة يونس ١٨٤١ كلمة، أما عن عدد حروف السورة فهي ٧٤٥٢ حرف[٤].

أَمَّا عن سبب تسمية السورة بهذا الاسم فقد سميت باسم نبي الله يونس تكريمًا ليونس ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ حيث إنَّ السورة تحكي قصة قوم يونس الذين آمنوا بالله ـ تعالى ـ بعد أَنْ توعدهم نبيهم بالعذاب فغفر الله لهم وعفا عنهم بعد إيمانهم.

ثالثًا: محور السورة، وعمودها الرئيس.

(١) مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ط: ١٩٨٩، ص ٥.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، جـ١١ صـ٧٨.

(٣) البغوي، محيي السنة، أبو محمد، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، الشافعي(ت : ٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، أو تفسير البغوي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط : الأولى ، سنة: ١٤٢٠ هـ، جـ٢، صـ٤٠٩.

(٤) ابن عطية، الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، جـ٢، صـ٤٠٦.

يتحدد محور أي سوره في القرآن بناء على ورود اسمها، ثم على اتفاق هذا الاسم من ناحية المعنى مع مضمون السورة فلمَّا كان الحديث في هذه السورة يتعلق بقضيه الإيمان، وأَنَّه يقوم على عدم الاستكبار وعلى التواضع في التعامل مع آيات الله ﷻ ساق الله لنا قصص من شأنها أَنْ تتعلق بهذا الموضوع، وبهذه القضية مبينًا الأسباب المؤدية إلى عدم الإيمان بآيات الله، ثم بين للناس أَنَّ الإيمان الذي يقوم على الخوف حين مجيء العذاب لا ينفع فقال تعالى ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يونس: ٥٠- ٥١] فهذا المعنى قد تكرر بأسلوب مختلف في كل موضوعات السورة، وهو أَنَّ الإيمان الذي يقوم على الخوف عند وقوع العذاب لا يجدي نفعًا ولا ينجي صاحبه من العذاب فمحور السورة يقوم على أَنَّ الإيمان عند وقوع العذاب لا ينفع الإنسان، وأَنَّ هذه الحالة لما وصلت إلى هذا المقدار من التأزم لاستكبارها وغفلتها وعدم تعقلها، وأَنَّ الله لو نجاها من عذابها؛ لرجعت تلك النفس إلي كفرها؛ لأَنَّ إيمانها لا يقوم على أساس التصديق بآيات الله أَمَّا قوم يونس، وقد جاءت السورة تحمل هذا الاسم فقد كانوا حاله تختلف عن باقي الأقوام المذكورين في السورة تمامًا وحاله معاكسه في إيمانهم بإيمان فرعون من السورة ذاتها فقد قام إيمان فرعون على الخوف من العذاب فقط أَمَّا قوم يونس فقد تأسس إيمانهم على الاعتقاد الجازم بما دعاهم إليه يونس ـ عليه السلام ـ وإِنْ سبقه الخوف ولكنهم لم يعاينوه كما حدث مع فرعون[1].

إذن: فمحور السورة وقطبها التي تدور في فلكه هي قضية الإيمان، ومن أعجب العجب أَنَّ هذه القضية عُوْلِجَتْ في الآيات التي فيها أكثر من قراءة، وإِنْ كانت هذه المعالجة كانت على وجوه متباينة الألفاظ والمعاني.

(١) الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي(ت: ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ: ٢٠٠٠م، جـ:١٥، صـ:٢٠٥.

. ففي القراءة الأولى اختلف القراء في كلمة ﴿لَسَاحِرٌ﴾،﴿لَسِحْرٌ﴾، فالسحر يناقض الإيمان ويخالفه، بل هو الكفر بالإيمان، فالمَعْلَمُ الأول لإيمان المؤمن، والرسيخة المهمة لدية، هي: الإيمان بالله القادر على فعل أي شيء، وكل شيء يفعله لا يكون إلا لحكمة، فلا خضوع إلّا لأمره، والساحر لا إيمان له؛ لأنَّه اتخذ من دون الله ـ تعالى ـ آلهة؛ لِتُعَيْنه على فعل ما يخالف ما أمر الله به، فالساحر يكفر بالله أولًا، ويتحدى أمره وحكمته ثانيًا.

. وفي القراءة الثانية اختلف القراء في كلمة ﴿أَنَّهُ يَبْدَأُ﴾ بفتح الهمزة، أو بكسرها ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ﴾ فالبدأ: هو الإنشاء من عدم، فلا مثال سابق، ولا آلهة سبقتْ الإله الحق المبدِئ المُعِيْد، ولا آلهة تبقى سوى الإله الحق، فهو: الحق الأزلي الباقي، وغيره ناشِيْء فانٍ ينتهي إلى العَدَم؛ لذا جاءتْ قراءة كسر الهمزة ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ﴾: على الاستئناف؛ لتدل على أَنَّه ـ سبحانه ـ الذي بدأ الخلق لا أحد سواه فالذي بدأ الخلق قادر على إعادته، وجاءتْ قراءة الفتح ﴿أَنَّهُ يَبْدَأُ﴾ معللة؛ لحقيقة الوعد، فَمَنْ يقدر على الابتداء، يكون قادرًا على الإعادة؛ فدالة القراءة على عَدْل الله ـ تعالى ـ في خَلْقِه، وأَنَّ المظلوم لا بد أَنْ يأخذ حقه المسلوب في الآخرة، وأَنَّ الظالم لا بد أَنْ يُقْتَص منه.

وهي رَسِيْخَة إيمانة يتحَلَى بها المؤمن الحق.

. لَمَّا عَلِم المؤمن أَنَّ الله ـ تعالى ـ هو المُنْشِئ وحده، ولا إله يستحق العبادة سواه ـ سبحانه ـ لفت الأنظار إلى بعض آيِه في خَلْقِه فتحدث عن الشمس بقوتها وحرارتها فقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً ﴾ ورَسَخَ لدَى المؤمن أَنَّ المخلوق مهما كانت قوته الظاهرة فليستْ قوة ذاتيه، إِنَّما هي قوة مكتسبة موهوبة تُسلب وتُزال في الوقت الذي حددها مَنْ منحها؛ لذا انقلب الـ﴿ضِيَاءً﴾ إلى﴿ضِئَاءً﴾، فلا قوة ذاتية إلّا قوة الإله الحق، ودَلَّ ـ سبحانه ـ على الوحدانية في نفس الآية فختمها بقوله تعالى: ﴿يُفَصِّلُ﴾، ثم بين عظيم قدرته في مخلوقاته، وأَنَّ من يفعل هذا لا بد أَنَّ يتصف بصفات القوة المطلقة والعظمة الذاتية فقال:﴿نُفَصِّلُ﴾ بنون العظمة.

فَنَوَّهَتْ بفضل العلم؛ بإظهار بعض الآيات الكونية، مع قدرته ـ سبحانه ـ على تدميرها وإفسادها، كذا كون الإسلام دينًا علميًا لا تقليديًا، فإذا تدبر المؤمن تلك الآيات؛ وَصَلَ إلى حقيقةَ وحدانية الله وصحة ما يدعوهم إليه سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. من خَلْع الأَنْدَاد، والبراءة من الأوثان.

- ﴿ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ﴾ [يونس:١١] قُرِأَتْ هذه الجملة الشريفة بفتح القاف والضاد وقلب الياء ألفاً ﴿لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ﴾ و﴿أَجَلَهُمْ﴾، بالنصب، كما قُرِأَتْ بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ﴾، و﴿أَجَلُهُمْ﴾ بالرفع، ولَمَّا كان القضاء هو: الفَصْلِ والحُكْم، ومادته تدور حول: إِحْكَامُ الشيء وحتميته، كما دلتْ على أَنَّه القرار النهائي الذي لا رَجْعَت فيه مع القدرة على انفاذه؛ جاءت الجملة بصيغتين، الأولى: بالبناء لِمَ سُمِّيَ فاعله، وأضمر الفاعل فيه ونصب المفعول بِتَعَدِّي الفعل إليه، فكأنَّه ـ سبحانه ـ أراد أنْ يرسخ الإيمان في قلوب المؤمنين بالآخرة ويطمئنهم؛ بأَنَّ قضاؤه نافذ لا محالة في الوقت الذي أراده سبحانه فلا تتعجلوا فلا أحد فوق القضاء الإلهي، والأخرى بالبناء لِمَ لَمْ يُسَمَّ فاعِلُه فرفع به المفعول، ففيه إيذان وإشعار بسرعة إجابته لهم واسعافه بطلبتهم، إِذْ أَخَذَ هذا الأمر من الفاعل مسبقًا وعلم أَنَّ الأَجَلَ لَمْ ولَنْ يَتَغَيَّر؛ فقد وُضِعَ في كِيَانِه ونِظامه مسبقًا ـ قبل خَلْقِهِ على أَنْ يموت وتخرج روحه في هذا الوقت المُحَدَد، فلا يحتاج إلى أمر من فاعله وقتها؛ لِأَنَّ الفاعل أَعَطَى الأمرَ قبلُ وانتهى حكمه وقضاؤه، فمن الإيمان الذي يجب أن يرسخ في قلوب المؤمنين بأَنَّ قضاء الله نافذ لا محالة، وأَنَّه سيكون ما كتبه الله وقدره قبل خلق خلقه لا محالة.

. إذن كل آية من تلك الآية الأربع عالجت قضيت الإيمان بوجه من الوجوه هذا من جانب، ومن جانب آخر تدرجت قضية الإيمان ففي الآية الأولى: انصبتْ على الكفر بالسِّحر والسَّحَرة.

والآية الثانية: بينتْ للمؤمن أَنَّ الذي أنشأ الأكوان كلها واحد فرد صمد؛ فهو: المستحق للعبادة وحده.

والآية الثالثة: بينت قدرتُ الله ـ تعالى ـ على مخلوقاته فلا قدرة فوق قدرته، ولا قدرة لأحد إلا به سبحانه، والآية الرابعة: بينت أن قضاء الله ـ تعالى ـ نافذ لا محالة.

* * * * *

المبحث الأول: الاختلاف في قوله تعالى:

﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾[يونس:٢].

المطلب الأول: القراءات القرآنية المتواترة في قوله تعالى:

﴿ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ قرأ ﴿لَسَاحِرٌ﴾ بالألف وكسر الحاء ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي وخلف، والباقون بغير ألف وكسر الحاء وسكون الحاء ﴿لَسِحْرٌ﴾[(١)].

المطلب الثاني: المعنى المعجمي للسِحْر.

سَحَرَ: كل ذي سُحْر سَحْر أو سَحَر[(٢)] يتنفس وهي: الرئة[(٣)]، وَقَوله تَعَالَى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٥٣] قَالَ الزّجاج: يجوز أَن يكون مَعْنَاهُ، إِنَّمَا أَنْت مِمَّن لَهُ سَحْرٌ، أَي رِئَة، أَي إِنَّمَا أَنْت بشر مثلنَا أَيْ: من المخلوقين، ومن

(١) ابن الجزري، شمس الدين، أبو الخير ، محمد بن محمد بن يوسف(ت : ٨٣٣ هـ)، النشر في القراءات العشر، تحقيق : علي محمد الضباع (ت ١٣٨٠ هـ)، المطبعة التجارية الكبرى، ج:٢، صـ:٢٧٠، البناء، شهاب الدين، = = أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ(ت: ١١١٧هـ)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط: الثالثة، ٢٠٠٦م :١٤٢٧هـ، صـ:٣٠٩.

(٢) أي فتح السين وسكون الحاء، أو ضم السين وسكون الحاء، أو فتح السين والحاء جميعاً.

(٣) يقصد كل كائن حي وُهِبَ رِئَة يتنفس من خلالها.

المجاز: سَحَرَه وهو مَسْحُوْر، وإنه لَمُسَحَّر: سُحِر مرة بعد أخرى حتى تَخَبَّل عقله، وقولهم: مَنْ سَحَرَهُ إذا أصاب سحره، ولقيته سَحَراً وسُحْرِة وبالسَّحَر خرجوا سَحَرًا، وتَسَحَرْتُ: أكلت السُحُوْر، وسَحَرَني فلان، وإنما سمي السَّحَر استعارة؛ لأَنَّه وَقْت إدبار الليل وإقبال النهار فهو متنفس الصبح، ويقال: انتفخ سَحْرِه وانتفخت مساحِرُهُ إذا ملَّ وجبن، وانقطع منه سَحْري إذا يئِسْتَ، وأنا منه غير صريم سحر: غير قانط، وجاء فلان بالسِّحْر في كلامه، والمرأة تَسْحَر الناس بعينها، ولها عين ساحِرَة، ولهن عيون سَوَاحِر. فاتنات. وعنز مسحورة: قليلة اللبن، وأرض مسحورة: لا تنبت، وسَحَرْتُه عن كذا: صرفته[1]، والسِّحْر: كلُّ ما كان من الشيطان فيه مَعُونة، والسِّحْر: الأُخَذُة التي تَأْخُذُ العين حَتَّى تظن أَن الْأَمر كَمَا يرى وَالْجمع أسحَارٌ وسُحُور، والسِّحْر: البَيان في الفطنة، والسَّحَرُ: آخِرُ الليل، والسِّحْرُ، الْفساد، والسِّحْرُ: سَواد الْقلب، وَرجل إسحارٌ: قَبِيح الْخلق[2]. إذن: السِّحْر من معانيه.

. المخلوقون: فهو بشر يتنفسون من خلال الرِّئَة؛ لأَنَّ هواء الشهيق والزفير لا يُرَى، ولا يشعر المخلوق به إلَّا في حالة الإصابة بالمرض، فالسحر خفي كما أَنَّ الهواء خفي لا يرى.

. مخبول العقل: الذي خرج سَحَراً فأصابه شيء أذهب عقله أو كاد، وهذا الشيء خَفِيّ لا يشعر به المصاب، لإنما له تأثير عليه.

. أو هو الجَبَان، أو اليائِس؛ لأَنَّهما خللان يصيبان الإنسان عند الفزع والمصائب، وهما لا يتوقعهما الإنسان في الأكثر الأعم، وفيهما شيء من الخفاء.

. والشيء الذي لا خير فيه أو قليل الفائدة: فالأرض المسحورة: لا تنبت لا خير فيها، وقِلَّة لبن الناقة قليل الفائدة، فالخير المتوقع منهما قليل أو نادر، أو معدوم.

---

(١) الزمخشري جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد(ت: ٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ: ١٩٩٨ م، جـ:١، صـ:٣٤١.

(٢) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم(ت: ١٧٠هـ)، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، جـ:٣، صـ:١٣٥، ابن سيده، المرسي، أبو الحسن، علي بن إسماعيل(ت: ٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ: ٢٠٠٠م، جـ:٣، صـ:١٨٢.

. ومن المفاسد: السواحر . فاتنات . لأَنَّهن تفتن الرجال بما لا يجوز، ومنه: الْفساد، وسَواد الْقلب، وقَبِيح الْخُلُق، وكلُّ ما كان من الشيطان فيه مَعُونة، والأُخَذُة التي تأخُذُ العين حَتَّى تظن أَنَّ الْأَمر كَمَا يُرَى وليس له حقيقة.

. ومن السحر: البَيان والفِطْنَة؛ لأَنَّه لا يقنع الناس بما يريد إلا الذكي الفطن، وهما . البَيان والفِطْنَة . نوعان من أنواع المهارة لدى المتكلم؛ إذ أصله أن يقنع الناس بالشيء الذي يريده وإن لم يكن له حقيقة، ثم استعمل لمن يملك عقلاً راشداً ذكيّاً يستطيع من خلاله أن يبرز قضيته بكل تفاصيلها، بل ويقنع الآخرين بحجته ودليله.

المطلب الثالث: توجيه القراءتين ﴿لَسَاحِرٌ﴾،﴿لَسِحْرٌ﴾.

قال الطبري: "وصفوه . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . بأَنَّه ساحر، ووصف ما جاءهم به . القرآن الكريم . أَنَّه سحر"(١).

. فمعنى:" لسحر بغير ألف، يعني: أَنَّ هذا القرآن لَسِحْر مُبِينٌ، يعني: كذب بَيِّن ظاهر، وقرأ الباقون: لَساحِرٌ مُبِينٌ يعني: أن الذي يَقْرَأُ عليهم القرآن . سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . لساحر مبين، فالساحر اسْمٌ، والسحر فِعْلٌ، فإن قيل: إذا قال الكفار هذا القول، فما الحكمة في حكاية كلامهم في القرآن؟

قيل له: الحكمة فيه من وجوه أحدها: أنهم كانوا يقولون قولًا فيما بينهم، فيظهر قولهم عند النبيّ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فكان في ذلك علامة لنبوته لمن أيقن به، والثاني: أَنَّ في ذلك تعزية للنبي . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .؛ ليصبر على ذلك، كما قال:﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ [طه:١٣٠]، والثالث: أَنَّ في ذلك تنبيهاً لمن بعده أَنَّ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولا يمتنع بما يسمع من المكروه"(٢).

(١) الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي(ت: ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ:٢٠٠٠م، جـ:١٥، صـ:١٧.

(٢) الزمخشري، أساس البلاغة، جـ:١، صـ:٣٤١، البغوي، الشافعي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت: ٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي،

. ويذكر ابن عطية سبب قولهم:﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ فيقول:" وقولهم في الإنذار والبشارة سِحْر إِنَّما هو بسبب أَنَّه فرق بذلك كلمتهم، وحال بين القريب وقريبه فأشبه ذلك ما يفعله الساحِر فَظَنَّوه مِنْ ذلك الباب[1]، فإقدامهم على وصف القرآن بأنَّه سحرٌ يحتمل أنَّهم ذكروه في معرض الذَّمّ أرَادُوا به أنَّه كلام مزخرف حسن الظَّاهر لكنَّه باطِل في الحقيقة، ويحتمل أَنَّهم ذكروه في معرض المدح، وأردُوا به أنَّه لكمال فصاحته، وتعذر مثله، جارٍ مجرى السِّحْر، وعلى كلا الرأيين كلامهم فَاسِد؛ لذا لَمْ يذكر جوابه، وبيان فساده: أنَّه ـ عليه الصَّلَاة والسلام ـ كان منهم، ونَشَأَ بينهم، وما غَابَ عنهم، ولم يُخالط أحداً سواهم، ولم تكن مكَّة بلدة العُلماء، حتى يقال: إنَّه تعلَّم السِّحر منهم، أو تعلم العلوم الكثيرة منهم، فقدر على الإتيان بمثل هذا القرآن، وإذا كان الأمر كذلك، كان حَمْل القرآن على السِّحْر كلاماً في غايةِ الفسادِ، فلهذا السَّبب ترك جوابه.

. وسبب تعجبهم: أَنَّهم لَمَّا جاءهم رسول منهم فأنذرهم وبشَّرهُم قالوا مُتعجِّبين:" هذا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ" لَمَّا حكى عن الكُفَّار تعجُّبهم من الوَحْي والبِعْثَة والرِّسالة، أزال ذلك التعجُّب بأَنَّه لا يبعد أَنْ يبعث خالق الخلْقِ إليْهِم رسولاً يُبشِّرهم على الأعمال الصَّالحة بالثَّواب، وعلى الأعمال الباطلة بالعقاب[2].

بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ جـ:٢، صـ:٤١٠، السمرقندي، أبو الليث، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت: ٣٧٣هـ)، بحر العلوم، دار الكتب العلمية، ط: ١٤١٣: ١٩٩٣، جـ:٢، صـ:٢٠٢.

(١) ابن عطية، الأندلسي، المحاربي، أبو محمد، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام (ت: ٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى: ١٤٢٢ هـ، جـ:٣، صـ:١٠٢.

(٢) النعماني، الحنبلي، الدمشقي، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل(ت: ٧٧٥هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط: الأولى، ١٤١٩ هـ:١٩٩٨م، جـ:١٠، صـ:٢٥٧.

. ووصف الكافرون القرآنَ بالسحر: لما رَأَوْ تأثيره القوي في القلوب، والسِّحر عندهم يطلق على كل فعل غريب خارق للعادة، لا يعرف له سبب، مؤثر في النفوس، جذابٌ يلفِتُ الأنظار.

ثُمَّ تَبَيَّن لعقلاء العرب وحكمائهم أَنَّ القرآن ليس سحراً؛ لأَنَّهم جربوا السِّحْرَ وعرفوه، فلم يجدوه مطابقاً له؛ لِأَنَّ السحر علم يعتمد على الحيل والشعوذة، والقرآن مغاير لها، وفوقها؛ لِأَنَّه وحيٌ من عند الله أنزله على قلب نبيه، مشتمل على أحكام سامية عالية في التشريع والقضاء، والسياسة والاجتماع، والعلوم والأخلاق والآداب، معجز في أسلوبه ونظمه ومعانيه، يفوق قدرة البشر على محاكاته أو الإتيان بشيء مِنْ مثله[١].

. ولم يَكُنْ . ﷺ . ليقدر على شيء من مثله، وبهذا ثبت أنه نبيٌ من عند الله، وأَنَّ ما جاء به وحي من لدن خالق القُدَر والبشر[٢].

. وقولهم إِنَّ القرآنَ سِحْرٌ جاء به ساحر يتضمن اعترافهم بأَنَّ القرآن فوق المعهود والمعلوم للبشر في عالم الأسباب المقدورة لهم، وتأكيد قولهم: بالجملة الاسمية وإِنَّ واللام، وبوصف السِّحْر أو الساحِر بالمبين الظاهر يفيد الحصر كما حكى القرآن قول الوليد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾ [المدثر:٢٤] يعني: القرآن، وسموه سِحْر؛ لأَنَّه خارقٌ للعادة بقوة تأثيره في القلوب وجذبه للنفوس إلى الإيمان، فيفرق بين المرء وأخيه، وأمه وأبيه، وزوجه وبنيه، وفصيلته التي تؤويه وتمنعه وتحميه، وأَنَّ القرآن ليس بسِحْر يؤثر بالتعليم والصناعة، بل هو مجموع العلوم العالية في العقائد والآداب والتشريع والاجتماع مُرَقِّيَة للعقول، مزكِّيَة للأنفس، مصلحة للناس، وأَنَّه معجز للبشر في أسلوبه ونظمه ومعانيه وهدايته وتشريعه، ولم يَكُنْ ليقدرَ على شيء

(١) وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق ط: الثانية ، ١٤١٨هـ، جـ١١، صـ١٠٠.

(٢) المراغي، أحمد بن مصطفى(ت: ١٣٧١هـ) تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط: الأولى، ١٣٦٥ هـ: ١٩٤٦م، جـ٤، صـ٢٠٢.

منه ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وقد عجز عنه غيره، فثبت أَنَّه نبيُ اللهِ ورسولُهُ، وأَنَّ ما جاء به وحي منه تعالى[١].

المطلب الرابع: جمع معنى القراءتين ﴿لَسَاحِرٌ﴾، ﴿لَسِحْرٌ﴾.

من المعنى المعجمي يتبين لنا أَنَّ أكثر معاني السحر جاء في الفساد، أو ما غُيِّرَتْ حالته فأصبح فاسداً، أو لم يأدِّ دوره بالشكل المناسب.

ـ هذا ولَمَّا كان الشاعر، أو الفصيح يغيّر حال الناس من الكُرْه إلى الحب، ومن الرَّفض إلى الموافقة في الرأي، أو العكس سُمِّيَ ساحر، وهذا الأمر لا يتأتى إلا من ذكي فطن.

ـ فأصل السحر هو الفساد، أو ما في معناه، وأَنَّ الفطنة والبيان والفصاحة لها صلة بالمعنى الأصليّ، وهي: تَغْيِيْر حال المستمع واستمالته لِمَا يريد من الخير أو الشر هذا من جهة.

ومن جهة أخرى معنى هذه الكلمة ﴿لَسَاحِرٌ﴾، ﴿لَسِحْرٌ﴾ على اختلاف قراءاتها دلَّتْ بسياقها[٢]، وسباقها[٣]، على عِظَم ما جاء به محمدٌ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ كما دلَّتْ على عجزهم وفشلهم في أَنْ يأتوا بمثل ما جاء به محمدٌ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ كما دلَّتْ على أَنَّه نبيٌ مرسل؛ إذ لا يُمْكِنْ أَنْ يتعلم القرآنَ الكريمَ من أحد من العالمين بل لا يستطيع كائِنٌ من كان مهما أُتِي من علم وفطنة أَنْ يأتي بمثل ما أتى به؛ لذا استعمل المشركون لفظ السِّحْر الذي من معانيه الفطنة والذكاء، إذ لا أحد يُنْكِر هذين الصفتين التي تمتع بهما ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بجانب أمانته وصدقه...؛ مما ينتج عنه بلا ريب: صدقة نبوته ورسالته.

---

(١) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: ١٩٩٠ م، جـ:٤، صـ:٢٠٢.

(٢) الكلام الذي يأتي بعد الكلمة المرادة.

(٣) الكلام الذي يأتي قبل الكلمة المرادة.

" فلم يستطيعوا نعته بالضلالات والأوهام؛ فلجأوا إلى دعوى السحر"(١)، أي: الافتراء عليه ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بوصفه، أو وصف ما جاء به ـ القرآن ـ بهذا البهتان ـ السحر ـ

* * * * *

(١) الطبري، جامع البيان، جـ:١٥، صـ:١٧.

المبحث الثاني: الاختلاف في قوله تعالى:

﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾[يونس:٤].

المطلب الأول: القراءات القرآنية المتواترة في قوله تعالى:

﴿ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ قرأ أبو جعفر بفتح الهمزة في ﴿أَنَّهُ يَبْدَأُ﴾، وقرأ الباقون بكسرها ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ﴾[١].

المطلب الثاني: المعنى المعجمي للبَدْء.

يقال:" بَدَأَ اللهُ الخلقَ وابْتَدَأَه، وكان ذلك في بدء الإسلام ومبتدئ الأمر، وافْعَلْ هذا بَدْأً وبَادِئ، وافعله بَدْءاً ما تريد أول شيء. .. وفلان ما يُبْدِئ وما يعيد إذا لم يكن له حيلة"[٢]،" وَالْبَدِيء: بِوَزْنِ الْبَدِيعِ الْبِئْرُ الَّتِي حُفِرَتْ فِي الْإِسْلَامِ ـ حديثة ."[٣]،" ويُقالُ: لَكَ البَدْءُ، والبَدْأَةُ، والبُدْأَةُ، والبَدِيئَةُ، والبَدَاءةُ، والبُدَاءَةُ، والبُداهَةُ، على البَدَلِ، أي لَكَ أَنْ تَبْدَأَ"[٤]، وبَدَا الشيءُ يَبْدُو بَدْواً وبُدُواً أي ظهر، والبادية اسْمٌ للأرض التي لا حَضَرَ فيها أي لا مَحَلَّةَ فيها دائمة، ... وبَدَأ الشيءَ يبدَأُ أي يَفْعَلُهُ قبل غيره، ويستعمل في الأمر العجيب، يقال: أمْرٌ بَدِئٌ أي عجيب، والبداء من الرجال: السيِّد الذي يُعَدُّ في أَوْل من يُعَدّ في سادات قومه، الإِبْدَاء: المفاصل، والواحد بَدى، مقصور[٥].

---

(١) ابن الجزري، النشر، جـ٢، صـ٢٨٢، القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد(ت: ١٤٠٣هـ)، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، صـ ١٤٢.

(٢) الزمخشري، أساس البلاغة، جـ١، صـ٤٩.

(٣) الرازي، زين الدين، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي(ت: ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط: الخامسة، ١٤٢٠هـ: ١٩٩٩م، صـ٣٠.

(٤) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، جـ٩، صـ٣٨٣.

(٥) الفراهيدي، العين، جـ٨، صـ٨٣.

إذن فأصل معنى البَدْءُ:

أن يكون أول شيء، أي: لا يسبقه أحد في قوله أو فعله أو مكانته.

لذا سُمِيَتْ بها الْبِئْرُ: لِأَنَّها لم تكن لها وجود قبل، ومنها البادية: لأَنَّك إذ وقفت على حافتها ظهر لك اتساعها وجدبها، والأمر العجيب: لأَنَّ الشيء الذي يكون أولاً يكون عجيباً؛ إذ لم يعتده الناس، يأتي منه ـ البَدْءُ ـ والظهور: فمن أَوْجَدَ شيئاً لم يسبق إليه عرف بين الناس وظهر، ومنه والبُدَاءَةُ: الظهور، والسيِّد: يكون في مقدمة قومه وشعبه دائماً، وهو أيضاً الظاهر بين قومه فالأعين مسلطة عليه دائماً، والمفاصل: هي السبب الرئيس لحركة المخلوق؛ فكانت كالسيد بالنسبة للجسم.

المطلب الثالث: توجيه القراءتين﴿أَنَّهُ يَبْدَأُ﴾ ،﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ﴾.

أولاً: الإعراب.

قال سيبويه تحت عنوان: هذا باب إنَّ وأنَّ قال:" أما أنَّ فهي اسم وما عملت فيه صلةٌ لها... وتقول:

بلغني أَنَّك منطلقٌ، فأَنَّك في موضع اسم مرفوع، ...، ونظير ذلك في أَنَّهُ وما عمل فيه بمنزلة اسم واحد لا في غير ذلك، وأَمَّا إِنَّ فإِنَّما هي بمنزلة الفعل لا يعمل فيها ما يعمل في أَنَّ، كما لا يعمل في الفعل ما يعمل في الأسماء، ولا تكون إِنَّ إلا مبتدأه، وذلك قولك: إن زيداً منطلقٌ، وإِنَّك ذاهب، ثم قال سيبويه: وسألت الخليل عن قوله جل ذكره:

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون:٥٢]، فقال: إِنَّما هو على حذف اللام، كأَنَّه قال: ولِأَنَّ هذه أمتكم أمةً واحدةً وأنا ربُّكم فاتقون.

وقال ﷻ: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ [القمر:١٠]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[هود:٢٥]، إِنَّما

أراد بأنّي مغلوبٌ، وبأنّي لكم نذيرٌ مبين، ولكنَّه حذف الباء، وقال أيضاً: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾[الجن:١٨]

بمنزلة: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون:٥٢]، والمعنى: وَلِأَنَّ هذه أمتكم فاتقون، وَلِأَنَّ المساجد لله فلا تدعوا مع اللَّه أحداً"(١).

فقراءة ﴿أَنَّهُ يَبْدَأُ﴾ بالفتح الهمزة على أَنَّ أَنَّهُ وما بعدها في موضع نصب بقوله تعالى:﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ فيكون المعنى: وعد الله تعالى أَنَّهُ يبدأ الخلق، ويجوز أَنْ يكون المعنى: لِأَنَّه يبدأ الخلق، على حذف اللام، وقيل أَنَّهُ جعلها اسماً للحق وجعل(وَعْدَ اللَّهِ) متصلاً بقوله: "إليه مرجعكم" ثم قال:﴿حَقًّا أَنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾، فـ(أَنَّهُ) فِي موضع رفع اسمٌ للحق، والمعنى:﴿حَقًّا أَنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾، ومن قرأ ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ﴾ بالكسر على الاستئناف والابتداء(٢)، فالجارّ "إليه" متعلق بالخبر، و"مرجعكم" مبتدأ، والكاف مضاف إليه، "وجميعاً" حال من الكاف، وجاز مجيء الحال من المضاف إليه؛ لِأَنَّ المضاف مصدر، و"وَعْدَ" مفعول مطلق، وكذا "حقاً" ، والجارّ "بالقسط" متعلق بـ "يجزي" ، وجملة "والذين كفروا ..." مستأنفة، والموصول مُبْتَدَأ، وجملة" لهم شراب" خبر، و "ما" في قوله: "بما كانوا" مصدرية، والمصدر المجرور متعلق بالاستقرار الذي تعلق بـ"لهم"(٣).

(١) سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر(ت: ١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: الثالثة، ١٤٠٨ هـ:١٩٨٨ م، جـ:٣، صـ: ١١٩، وما بعدها.

(٢) الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي(ت:٢٠٧هـ)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ط: دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط: ١، جـ:١، صـ:٤٥٨، النَّحَّاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي(ت: ٣٣٨هـ)، إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، سنة: ١٤٢١ هـ، جـ:٢، صـ:١٤٠، العكبري، أبو البقاء، عبد الله بن الحسين بن عبد الله(ت : ٦١٦هـ)، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق : علي محمد البجاوي، عيسى البابلي الحلبي وشركاه جـ:٢، صـ:٦٦٥.

(٣) الخراط، أبو بلال، أحمد بن محمد، المجتبى من مشكل إعراب القرآن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط: ١٤٢٦هـ، جـ:٢، صـ:٤٢٣.

ثانياً: معنى الآية.

أ ـ المعنى على كسر همزة ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ "معادُكم، أيها الناس، يوم القيامة جميعاً وعد الله حقاً فأخرج وعد الله مصدّرَاً[١] من قوله: "إليه مرجعكم"؛ لِأَنَّه فيه معنى الوعد، ومعناه: يعدكم الله أَنْ يُحْيِيْكم بعد مماتكم وعداً حقاً؛ فلذلك نصب وعد الله حقاً، أو يكون المعنى: إنَّ ربكم يَبْدِأ إنشاء الخلق وإحداثه وإيجاده ثم يعيده، فيوجده حيًّا كهيئته يوم ابتدأه، بعد فنائه وبَلائِه، أي: يَحْيِيْه، ثم يميته، ثم يبدأه، ثم يحييه"[٢]، فقوله تعالى:﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ استئناف معناه التعليل؛ لوجوب المرجع إليه ﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [يونس:٤] أي: الحكمة بابتداء الخلق وإعادته هو جزاء المكلفين على أعمالهم ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل، وهو: متعلق بـ "يجزي" أي: ليجزيهم بقسطه؛ وليوفيهم أجورهم أو بقسطهم أي: بما أقسطوا وعدلوا.[٣]

فذكر ـ سبحانه ـ ما يقتضي التذكير، وهو: كون مرجع الجميع إليه، وأكد هذا الإخبار بِأَنَّه وعد الله الذي لا شك في صدقه، ثم استأنف الإخبار، وفيه معنى التعليل بابتداء الخلق وإعادته وأَنَّ مقتضى الحكمة بذلك هو جزاء المكلفين على أعمالهم، والمعنى: وعد الله تعالى بدء الخلق ثم إعادته.

بـ ـ المعنى على فتح همزة ﴿أَنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: إِمَّا على حذف اللام المقدرة أي: "لِأَنَّه يبدأ"، وهو: غنيٌ عن إخلاف الوعد، وإِمَّا أن يكون التقدير:" وعد الله حقاً أَنه يبدأ" ولا يعمل فيه المصدر الذي هو وعد الله، لِأَنَّه قد وَصَف ذلك بتمامه وقطع عمله، والمعنى الأظهر أَنَّ بدء الخلق هو النَّشْأَة الأولى، وإعادته هو البعث من القبور[٤]، وموقع

---

(١) يقصد: إليه مرجعكم فيه معنى الوعد مِن الله فكَأَنَّ الوعد مبتَدَأ به، قبل لفظه الصريح " وعد الله ".

(٢) النسفي، أبو البركات، عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين(ت: ٧١٠هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط: الأولى، سنة: ١٤١٩ هـ: ١٩٩٨ م جـ٢، صـ٧.

(٣) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، جـ١٥، صـ٢٠.

(٤) أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي(ت: ٧٤٥هـ)، البحر المحيط،

(أَنَّ) تأكيد الخبر نظرًا لإنكارهم البعث، فحصل التأكيد من قوله: "ثُمَّ يُعِيدُهُ" أمَّا كونه بدأ الخلق فلا ينكرونه، أو المصدر مفعول مطلق منصوب بما نصب به وَعْدَ اللَّهِ أَيْ وَعَدَ اللَّهُ وَعْدًا بَدْءَ الْخَلْقِ ثم إعادته فيكون بدلاً من وعد الله بدلاً مطابقاً أو عطف بيانٍ، ويجوز أن يكون المصدر المنسبك من (أَنَّ) وما بعدها مرفوعاً بالفعل المقدر الذي انتصب(حقاً) بإضماره، فالتقدير: حَقَّ حَقًّا أَنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ، أَيْ: حَقَّ بَدْؤُهُ الْخَلْقَ ثم إعادته، والتعليل بقوله: ليجزي الذين آمنوا؛ إبداء لحكمة البعث، وهي: الجزاء على الأعمال المقترفة في الحياة الدنيا، فكانت الحكمة قاضية بوجود عالم آخر مُتَمَحِضٌ للكون والبقاء وموضوعاً فيه كل صنف فيما يليق به لا يعدوه إلى غيره؛ إذ لا قبل فيه لِتَصَرُّفَاتٍ وَتَسَبُّبَاتٍ تُخَالِفُ الْحَقَّ[1]، والتقدير عند ابن جني على فتح ﴿أَنَّهُ﴾: وعد الله حقًّا؛ لِأَنَّه يبدأ الخلق ثم يعيده؛ أي: من قدرَ على هذا الأمر العظيم فإنَّه غني عن إخلاف الوعد، وإنْ شئت كان تقديره: أي وَعَدَ الله وعداً حقًّا أَنَّه يبدأ الخلق ثم يعيده، فتكون "أنه" منصوبة بالفعل الناصب لقوله:"وعداً"[2].

المطلب الرابع: جمع معنى القراءتين ﴿أَنَّهُ يَبْدَأُ﴾ ،﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ﴾.

نسب الله ـ تعالى ـ بَدْأَ الخلق إليه ـ سبحانه ـ؛ إذ خَلَقَ خَلْقَهُ بغير مثال سابق ـ ﷻ ـ فقال:

﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ

تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط: ١٤٢٠هـ، جـ٦، صـ١٢.

(١) الزجاج، أبو إسحاق، إبراهيم بن السري بن سهل(ت: ٣١١هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط: الأولى ١٤٠٨ هـ: ١٩٨٨م، جـ٣، صـ٦.

(٢) والتقدير على فتح همزة "أَنَّه": على الوجهين نفسيهما، مع شرح المعنى على التقديرين.

يراجع: ابن جني، أبو الفتح، عثمان الموصلي(ت: ٣٩٢هـ)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط: ١٤٢٠هـ: ١٩٩٩م، جـ١، صـ٣٠٧.

وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾[يونس:٤]، ونفى عن الآلهة الباطلة هذا الفعل على الحقيقة فقال في السورة نفسها مستعملاً فعل البَدْأ نفسه مرتين فقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [يونس:٣٤]، ثم جاء الفعل نفسه مقرونًا بالرزق في قوله تعالى:

﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [النمل:٦٤]، ثم أكد . سبحانه . قدرته على إعادة الإنسان إلى صورته الأولى في الآخرة؛ ليحاسبه على أعماله التي عملها في الدنيا فقال تعالى:

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت :٢٠]، وفي نهاية المطاف أراد أنْ يؤكد للمؤمنين أنَّ إعادة الصنعة بالنسبة للمخلوق أيسر من إنشائها، فكيف به ﷻ فقال تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الروم:٢٧]، وهذا مثلاً ضربه؛ لإقامة الحجة وإلا فكل شيء يسير عليه ﷻ.

. فقراءة الكسر ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ﴾: مستأنفة؛ لتدل على أَنَّه . سبحانه . الذي بدأ الخلق لا أحد سواه فالذي بدأ الخلق قادر على إعادته فهو . سبحانه . لا يخلف وعده، فكأَنَّه .

سبحانه . يقول لخلقه إِنَّ الحساب آتٍ لا محالة، ولَنْ يمنعه أحدٌ كائن مَنْ كان؛ إذ هو أمرٌ مقدرٌ محسومٌ قبل الخلق ولَنْ يتغيَّر أبداً.

. أما قراءة الفتح﴿أَنَّهُ يَبْدَأُ﴾ فجاءت معللة؛ لحقيقة الوعد، فَمَنْ يقدر على الابتداء، يكون قادرًا على

الإعادة؛ فدلة القراءة على عَدْل الله . تعالى . في خَلْقِه، وأَنَّ المظلوم لا بد أَنْ يأخذ حقه المسلوب في الآخرة، وأَنَّ الظالم لا بد أَنْ يُقْتَص منه؛ إذ أوجد الله . تعالى . هذا اليوم . يوم القيامة . لحساب مخلوقاته جميعاً على ما اقترفوه أو فعلوه؛ ليجزيَ المحسن بإحسانه، والمسيء بما يستحق.

* * * * *

المبحث الثالث: الاختلاف في قوله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[يونس:٥].

المطلب الأول:

أ. القراءات القرآنية المتواترة في قوله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً ﴾ قرأ قُنْبُل عن ابن كثير بهمزة مفتوحة بعد الضاد﴿ضِئَاءً﴾، وقرأ الباقون بياء مفتوحة مكان الهمزة﴿ضِيَاءً﴾(١).

بـ. القراءات القرآنية المتواترة في قوله تعالى:

﴿ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿يُفَصِّلُ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وحفص بالياء، وقرأ الباقون بالنون﴿نُفَصِّلُ﴾(٢).

المطلب الثاني: المعنى المعجمي للكلمتين الشريفتين:

أ. قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً ﴾ الضاد والواو والهمزة: ضَوْءٌ أصل صحيح، يدل على نور(٣)، ضَوَّأْتُ عن هذا الأمر تَضْوِيَةً أي كَشَفْتُ عنه الضَّوْءَ،

(١) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، جـ٢، صـ٢٨٢، الصفاقسي، أبو الحسن، علي بن محمد بن سالم، النوري، المقرئ، المالكي(ت: ١١١٨هـ)، غيث النفع في القراءات السبع، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، ط: الأولى، ١٤٢٥ هـ: ٢٠٠٤ م، صـ٢٨٤.

(٢) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، جـ٢، صـ٢٨٢، ابن الجزري، شمس الدين، أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف(ت: ٨٣٣هـ) تحبير التيسير في القراءات العشر، تحقيق: د. أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان، الأردن، عمان، ط: الأولى، ١٤٢١هـ: ٢٠٠٠م، صـ٣٩٧.

(٣) الرازي، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني(ت: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط: ١٣٩٩هـ: ١٩٧٩م، جـ٣، صـ٣٧٥.

والضِّياءُ: ما أضاءَ لك، ويقال: أضاءَ البَرْقُ لنا، والسراج، وضَوَّأتُ عنه حتى وَضَحَ أي بَيَّنْتُ عنه حتى أضاءَ[١]، والإضاءة: فَرْط الإنارة من الضَوْء الذي هو النور البالغ القوي ومصداقه﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾؛ ولذا قيل: الضَّوْء: أَقوى من النُّور[٢]، والضِّيَاء: جمع ضَوْء كسوط وسياط، وحوض وحياض، أَو مصدر: ضَاء: ضِيَاء كقام قيَاماً، وَصَامَ صياماً[٣]، و" وَضُوْءَ الرجل وضَاءَة إذا صَار وَضِيْئَاً: جميلاً"[٤]، و" أَضَاءَتِ النَّارُ الشَّيءَ: أظهرتْه" قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ [البقرة:١٧]"[٥].

نتيجة المعنى المعجمي للضياء:

الضَوْء والضِيَاء: نور، أو الضِيَاء: نور قويّ فيه فَرْطٌ في الإنارة، وصار الرجل وضيئاً أي: مشرقاً كأَنَّ النور يخرج من وجهه، والنَّور: يخرج من الضَوْء، والضِيَاء ينتج عنه إظهار الشيء وبيانه، وكانت الضِيَاء جمع ضَوْء؛ كأَنَّها جمعت أضواء كثيرة في بوتقة واحدة، أو مصدر لِأَنَّهَا أصلها ومبدأها.

---

(١) الفراهيدي، العين، جـ:٧، صـ:٧٤.

(٢) الزَّبيدي، الملقّب بمرتضى، أبو الفيض، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني(ت: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، جـ:١ ، صـ:٣١٨، المناوي، القاهري، زين الدين، محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي(ت: ١٠٣١هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، ٣٨ عبد الخالق ثروت، القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٠هـ:١٩٩٠م، صـ:٥٤.

(٣) يراجع: أبو البقاء، الحنفي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، الكفوي(ت: ١٠٩٤هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، صـ:٥٧٧.

(٤) ابن دريد، الأزدي، أبو بكر، محمد بن الحسن(ت: ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: الأولى، ١٩٨٧م، جـ:١، صـ:٢٤٢.

(٥) أحمد مختار عبد الحميد عمر(ت: ١٤٢٤هـ)، بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ: ٢٠٠٨ م، جـ:٢ ، صـ:١٣٧٣.

ب- قوله تعالى:﴿ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾.

الفَصْل:" الحاجزُ بين الشَيْئَيْن، فَصَل بينَهُما يَفْصِل فَصْلاً فانْفَصل، والفَصْلُ والمِفْصَلُ: كل مُلْتَقَى عظْمَيْن من الجَسَدِ، والفاصِلةُ الخَرَزَةُ التي تَفْصِلِ بين الخَرَزَتَيْنِ في النِّظامِ وقد فَصَّل النَّظْمَ، والفَصْلُ القضاءُ بين الحَقِّ والباطلِ كما في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴾[المرسلات:٣٨] أي: هذا يومٌ يُفْصل فيه بين المُحْسِنِ والمُسْيء"(١)، "وَفَصَلَ الرَّضِيعَ عَنْ أُمِّهِ يَفْصِلُهُ بِالْكَسْرِ فِصَالًا وَافْتَصَلَهُ أَيْ: فَطَمَهُ، وَفَصِيلَةُ الرَّجُلِ رَهْطُهُ الْأَدْنَوْنَ، وَالتَّفْصِيلُ: التَّبْيِينُ"(٢).

نتيجة المعنى المعجمي للفصل:

استعمل القرآن هذه الكلمة الفَصْل التي تدل على حجزُ بين شيئين مَعْلُومَيْنِ ومُخْتَلِفين في وجه من الوجوه؛ لذا جاءَتْ اللفظة للقضاء بين خصمين أحدهما على حَقّ؛ لذا حُقَّ على الخَلْق الابْتِعَاث ليوم الفصل؛ ليفرق الحَقَّ ـ سبحانه ـ بين المُحْسِنِ والمُسْيء، ولَنْ تنفع المُسْيء فصيلته وجماعته التي تؤويه، وساعتها ينتقل من مكانةٍ إلى أخرَى كما ينتقل الرضيع من الرضاعة إلى الطفولة، وفي هذا اليوم ـ الفَصْل ـ تكون الأعمال ظاهرة واضحة لا يَخْفَى منها شيء، فسبحان من أتى بكلمة دَلَّتْ على كل هذه المعاني في تلك الآية.

المطلب الثالث: توجيه القراءتين:﴿ضِيَاءً﴾،﴿ضِئَاءً﴾.

أولاً: أصل الكلمتين:﴿ضِيَاءً﴾،﴿ضِئَاءً﴾.

أ ـ ﴿ضِيَاءً﴾ قال أبو علي: الضِيَاء لا يخلو من أحد أمرين:" إِمَّا أَنْ يكون جمع ضوء، كسوط، وسياط وحوض وحياض، أو مصدر ضاء: يُضِئ ضياءً، كقولك: عاذ: عياذاً، وقام: قياماً، وعاد: عيادةً، وعلى أيّ الوجهين حملته، فالمضاف محذوف، والمعنى: جعل

(١) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، جـ٨، صـ٣٢٩.

(٢) الرازي، مختار الصحاح، صـ٢٤٠.

الشمس ذات ضياء، والقمر ذا نور، أو يكون: جعل النور والضياء؛ لكثرة ذلك منهما"[١]، أي: كأَنَّه جعلهما أصل النور والضياء من التشبيه المبالغ فيه، أو على الحقيقة.

ب. ﴿ضِئَاءً﴾ فأمَّا الهمزة في موضع العين من ضياء، فيكون على القلب، كأَنَّه قدّم اللام التي هِيَ همزة إِلَى موضع العين، وأخَّرْتَ العين التي هي واو إلى موضع اللام، فلما وقعت طرفًا بعد ألف زائدة، انقلبت همزة، كما انقلبت في: شقاء وغلاء[٢] فصارتْ ضئاواً بالواو، عادت العين إلى أصلها مِن الواو؛ لعدم موجِبِ قَلْبِها ياءً وهي الكسرُ السابقة لها، ثم أُبْدلت الواوُ همزةً فصارتْ ضئاءاً على حَدِّ كِسَاءً، وقيل: إنها قُلبت ألفاً ثم قُلِبت الألفُ همزةً لِئَلَّا تجتمع ألفان[٣]، والمعنى: جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور إِلَّا أَنْ يحمل على المبالغة، وكأَنَّهما جعلا نفس الضياء والنور، قيل: الضياء: أقوى من النور، وقيل: الضياء هو ما كان بالذات، والنور ما كان بالعَرَض، ومن هنا قال الحكماء: إن نور القمر مستفادٌ من ضوء الشمس[٤].

(١) الفارسيّ، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار(ت: ٣٧٧هـ)، الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط: الثانية، ١٤١٣ هـ: ١٩٩٣م، جـ:٤، صـ:٢٥٨.

(٢) الفارسيّ، الحجة للقراء السبعة، جـ:٤، صـ:٢٥٨.

(٣) السمين الحلبي أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم(ت: ٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، جـ:٦، صـ:١٥١.

(٤) الشوكاني، اليمني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله(ت: ١٢٥٠هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط: الأولى: ١٤١٤ هـ، جـ:٢، صـ:٤٨٣.

ثانياً: معنى الآية الكريمة.

أ ـ معنى الآية مفصلاً:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾**[يونس:٥]**.

قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً يَعْلَمُونَ ﴾ بالنهار، وهو: استئناف ابتدائي، فضمير هو عائد إلى اسم الجلالة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [يونس:٣]، وهذا استدلال آخر على انفراده تعالى بالتصرف في المخلوقات، ﴿ وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ بالليل، والمعنى: هو الذي أضاءَ الشمسَ وأنارَ القمر: ﴿ وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ ﴾، أي: قَضَاه فسوَّاه منازل، والتقدير جعل الشيء أو الأشياء على مقادير مخصوصة في الزمان أو المكان أو الذوات أو الصفات كما قال تعالى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾[المزمل:٢٠]؛﴿ لِتَعْلَمُوا﴾ أنتم أيها الناس ﴿عَدَدَ السِّنِينَ﴾ دخول ما يدخل منها، أو انقضاءَ ما يستقبل منها؛ لضبط عباداتكم ومعاملاتكم الدينية والمالية والمدنية، فلولا هذا النظام المشاهد؛ لتعذر على الآدميين من أهل البدو والحضر العلم بذلك؛ لأن حساب السنين والشهور الشمسية فَنٌّ لا يُعْلَم إلا بالدراسة؛ ولذلك جعل الشرع الإسلاميّ العام للبدو والحضر شهر الصيام وأشهر الحج وعدة الطلاق ومدة الإيلاء وغير ذلك بالحساب القمري الذي يعرفه كل أحد بالمشاهدة ﴿وَالْحِسَابَ﴾ حساب أوقات الشهور والسنين، وعدد أيامها، وحساب ساعات أيامها ﴿ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ يقول الحق تعالى ذكره: خَلَقْتُ

ذلك كله بِحَقٍّ وَحْدِي، بغير عون ولا شريك، ولم يخلقه باطلاً بل إظهاراً لصنعه ودلالة على قدرته ﴿ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ ﴾ استئناف؛ لبيان المنتفعين بهذه الحجج أي: نبين الدلائل من حِكَم[1] خلقنا، على ما أوحيناه إلى رسولنا من أصول العقائد وأحكام الشرائع، مفصلة منوعة من كونيَّة وعقلية لقوم يعلمون وجوه دلالة الدلائل، والفرق بين الحق والباطل، باستعمال عقولهم في فَهْم هذه الآيات، فيجزمون بِأَنَّ مَنْ خلق هذين النَّيِّرَيْنِ وما فيهما من النظام بالحق، لا يُمْكِنْ أَنْ يكون خلقه لهذا الإنسان العجيب عبثاً، ولا أَنْ يتركه سُدَىً وفي الآية تنويه بفضل العلم وكون الإسلام دينا علمياً لا تقليديًا ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ إذا تدبروا تلك الآيات؛ وصلوا إلى حقيقةَ وحدانية الله وصحة ما يدعوهم إليه محمد ـ ﷺ ـ من خَلْع الأَنْدَاد، والبراءة من الأوثان[2].

ب ـ معنى الآية إجمالاً:

بعد أن ذكر سبحانه الآيات الدالة على وجوده، وهو خلق السموات والأرض على ذلك النظام المُحْكَم، ذكر هنا أنواعاً من آياته الكَوْنِيَّة الدالة على ذلك، وعلى أَنَّه خلقها على غاية من الإِحْكَام والإتقان، وهو: تفصيل لما تقدم وبيان له على وجه بديع وأسلوب عجيب[3].

المطلب الرابع: جمع معاني الآية الكريمة.

ـ لما قرر الله ـ سبحانه تعالى ـ ربوبيته وإلهيته ذَكَرَ الأدلة العقلية الأُفُقِيَّة الدالة على ذلك وعلى كماله، في أسمائه وصفاته، من الشمس والقمر، والسموات والأرض، وجميع ما خلق فيهما من سائر أصناف المخلوقات، وأخبر أنها آيات

(١) جمع: حِكْمَة.

(٢) الطبري، جامع البيان ، جـ١٥، صـ٢٣، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، جـ٤، صـ١٢١، ابن عاشور، التونسي، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر(ت : ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ط: ١٩٨٤ هـ، جـ١١، صـ٦٦، محمد رشيد رضا، تفسير المنار، جـ١١، صـ٢٤٧.

(٣) المراغي، تفسير المراغي، جـ١١، صـ٦٦.

﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ فإنَّ العلم يهدِي إلى معرفة الدلالة فيها، وكيفية استنباط الدليل على أقرب وجه، وحاصل ذلك أَنَّ مجرد خلق هذه المخلوقات بهذه الصفة، دال على كمال قدرة الله تعالى وعلمه، وحياته، وقَيْمُوْمِيَّتِه، وما فيها من الإِحْكَام والإتقان والإبداع والحسن، كما دَلَّ على كمال حكمة الله، وحسن خَلْقِه وسعة علمه، وما فيها من أنواع المنافع والمصالح كجعل الشمس ضياءً، والقمر نوراً، يحصل بهما من النفع الضروري وغيره ما يحصل يَدُلّ ذلك على رحمة الله ـ تعالى ـ واعتنائه بعباده وسعة بره وإحسانه، وما فيها من التخصيصات دال على مشيئة الله وإرادته النافذة.

ـ كما تَحُثُّ هذه الآية وتُرَغِّب على التفكر في مخلوقات الله، والنظر فيها بعين الاعتبار؛ فبذلك تنفتح البصيرة، ويزداد الإيمان والعقل، وتُقَوَّى القريحة، وفي إهمال ذلك، تهاون بما أمر الله به، وإغلاق لزيادة الإيمان، وجمود للذهن والقريحة[1].

ـ وفي هذه الآيات ترغيب في علم الهيئة والجغرافية الفلكية، وقد برع فيهما أجدادنا اعتباراً بتلك الآيات وغيرها[2].

ـ هذا وقد دلَّتْ تلك الآيات على أَنَّه وحده المعبود بِحَقٍّ؛ لِأَنَّه ـ سبحانه ـ الخالق الذي خلق كل شيء، وقد أشار إلى بعض خَلْقه ودلَّلَ على بعض مخلوقاته إذ لولا الشمس والقمر ما استطاع أَنْ يعيش الإنسان في هذه الحياة الدنيا؛ فلا ينبغي أَنْ يُعْبد أحد إلا الله، ولا يرغب إلا فيما يحب ويرضى، فالمخلوقات مفتقرات إليه سبحانه.

ـ ﴿ضِيَاءً﴾، ﴿ضِئَاءً﴾: لما ضَرَبَ الله ـ تعالى مثالاً بالشمس وانتشار نورها وقوة حرارتها؛ أرد أَنْ يبين للمؤمنين قدرته تعالى على إبدال المخلوقات من حال إلى آخر كما أُبْدِلَت الياء وقُلِبَت وغُيِّرَت إلى مكان آخر فكذا الشمس بقوة ضِيَائِها تَنْقَلِب وتُبَدَّل أَحْوَالُها

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله(ت: ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ: ٢٠٠٠ م، ص:٣٥٨.

(٢) محمد رشيد رضا ، تفسير المنار، ج:١١، ص:٢٤٧.

كما قال تعالى:﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴾[التكوير :١] فلا يعجزه شيء مِنْ خلقه مهما بلغتْ قوته.

.ومن قرأ بالنون ﴿نُفَصِّلُ﴾ فهو إخبار عن فعل اللَّهِ تعالى بلفظ الجماعة؛ لأَنَّه الملك، ويكون تقدير المعنى لمن قرأ بالياء: قل يا محمد لقومك: الله يفصل البراهين والآيات ويدبر الأمر(١).

.ويفيد مجموع القراءتين ﴿ضِيَاءً﴾و﴿ضِئَاءً﴾ جلال هذه النِّعمة، وعظيم قدرة الله . تعالى . إذ تشيران إلى سطوع ولمعان الشمس كآية من آيات الله . تعالى . ففيها حياة المخلوقات على تلك الأرض.

ومن قرأ قراءة (نفَصِّلُ) بالنون فعلى الالتفات من الغيبة إلى المتكلم المعظم نفسه، وغرض الالتفات؛ لفت انتباه السامع، فالتفصيل . هو: البيان والوضوح . وهذا البيان يعقله العالِمون أصحاب النُهى، الذين ينتفعون بالأَدِلَّة والحجج والبراهين والآيات المفصلات، وختم هذه الآيات في القراءتين بالفعل المضارع ﴿نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ الذي يفيد تجدد دوام الآيات الربانية المعجزة، وإسناد الفعل إلى الله تعالى يُشعِر بعظمة الجلالة والمهابة الإلهية، فالله . تعالى . يعدد عظيم نِعَمَه وقدرته ممتناً على خلقه بتلك النعم.

* * * * *

(١) يراجع: ابن خالويه، إعراب القراءات السبع وعللها، جـ١، صـ٢٦١، الأزهري، محمد بن أحمد(ت:٣٧٠هـ)، معاني القراءات، مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ط١، سنة: ١٩٩١م، جـ٢، صـ٣٩.

المبحث الرابع: الاختلاف في قوله تعالى:

﴿ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۚ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾ [يونس:١١].

المطلب الأول: القراءات القرآنية المتواترة في قوله تعالى:

﴿ بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡ ﴾ قرأ ابن عامر ويعقوب بفتح القاف والضاد وقلب الياء ألفاً﴿لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ﴾ و﴿أَجَلَهُمْ﴾، بالنصب، وقرأ الباقون بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ﴾، و﴿أَجَلُهُمْ﴾ بالرفع(١).

المطلب الثاني: المعنى المعجمي للقضاء، والأجل.

أ ـ المعنى المعجمي للقضاء:

أَصل القضاء: قَضايٌ؛ لأَنَّه مَنْ قَضَيْتُ، إِلَّا أَنَّ الْيَاءَ لَمَّا جَاءَتْ بَعْدَ الأَلف هُمِزَتْ؛ قَالَ ابْنُ بَرِّي: صَوَابُهُ بَعْدَ الأَلف الزَّائِدَةِ طَرَفاً هُمِزَتْ، وَالْجَمْعُ الأَقْضِيةُ، والقَضِيَّةُ مِثْلُهُ، وَالْجَمْعُ القَضَايَا عَلَى فَعَالَى، وأَصله فَعائل، وقَضَى عَلَيْهِ يَقْضِي قَضَاءً، الْقَاضِي مَعْنَاهُ عند أَهل الْحِجَازِ القاطِع للأُمور المُحِكم لَهَا، وقولهم: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ، هُوَ فاعَلَ مِنَ القَضاء الفَصْلِ والحُكْم؛ لأَنَّه كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهل مَكَّةَ، وَمِنْهُ القَضاء الْمَقْرُونُ بالقَدَر، وَالْمُرَادُ بالقَدَر التَّقْدِيرُ، وبالقَضاء الخَلق كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ ﴾ [فصلت:١٢] أَي خَلَقَهُنَّ، فالقَضاء والقَدَرُ أَمران مُتَلازمان لَا يَنْفك أَحدهما عَنِ الْآخَرِ؛ لأَنَّ أَحدهما بِمَنْزِلَةِ الأَساس وَهُوَ القَدر، وَالْآخَرُ بِمَنْزِلَةِ الْبِنَاءِ وَهُوَ القَضاء، فَمَنْ رَامَ الفَصْل بَيْنَهُمَا فَقَدْ رَامَ هَدْمَ الْبِنَاءِ ونَقْضه، وَهُوَ:

(١) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، جـ٢، صـ٢٨٢، القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، صـ ١٤٢.

أَمر قَاطِعٌ حَتْمِيٌ، ومنه وَقَالَ تَعَالَى:﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ ﴾[سبأ:١٤] (١)، وقَضَى يَقضي قَضاءً وقَضيّةً أي حَكَمَ، والْقَضَاءُ: الحُكْم، قَضَى له القاضِي وعليه: وعدل في قضائه وقضيّته وقضاياه وأَقْضِيَتِه، وقضاءُ الله تردّ له الأقضية، وأتت عليه القاضِيَة: المنيّة، وافعل ما يَقْتَضِيْه كرمك أي يطالبك به، وَالِاسْم: الْقَضِيَّة، وقَضَى إليه عهدًا معناه الوصية، ومنه قوله تعالى:﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[الإسراء:٤]، وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ ﴾ [سبأ:١٤]أي أتى، وَقضى الشَّيْء قَضَاء: صنعه، وَفِي التَّنْزِيل:﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾[طه :٧٢]، وَالْقَضَاء: الحتم، ومنه قَوله تَعَالَى:﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[الإسراء:٢٣] أَي أَمر وحَتَّم، وَقضى وطره: أتمه وبلغه، ومنه:﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ ﴾[البقرة :٢٠٠] أي أديتموها ، والقضاة: الْجلْدَة الرقيقة الَّتِي تكون على وَجه الصَّبِي حِين يُولد(٢).

نتيجة المعنى المعجمي للقضاء:

تدور هذه المادة حول: إِحْكَامُ الشيء وحتميته.

فالقاضِي: تَرِد إليه الأَقْضِية، والقَضِيةُ لا تكون إلا بين خصمين فإذا حَكَمَ تَمَّ حكمه، وأُبْلِغَ الخصمان بحكمه

الحَتْمِيّ النافذ الذي لا رَجْعَت فيه، والقاضي يطالب الخِصْمَيْنِ بالأدلة والحجج والبراهين على صدق ادِّعائهم، ولَمَّا كان القضاء بجانب العلم يحتاج إلى مزيد فِطْنَة وذَكَاء، كذا يحتاج إلى ممارسة وخبرة فكان عمل القاضِي يشبه الصانع الذي يتعلم

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج:١٥، ص:١٨٨.

(٢) الفراهيدي، العين، ج:٥، ص:١٨٥، ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج:٦، ص:٤٨٤، الفيومي، الحموي، أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي(ت: نحو ٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، ج:٢، ص:٥٠٧.

صَنْعَتَه بعد ممارسات عدَّة، وسُمّيتْ الْجلْدَة الرقيقة التي تكون على وجه الطفل بالقضاة؛ لأَنَّ بإزالتها تكشف عن الجلد الحقيقي للطفل، كذا سُمِّيَتْ. المنيّة. بالقاضية: لأَنَّها أَمْرٌ حُكِمَ فيه قَبْل وجود المخلوق، وله وقتٌ محدد لا يتغير أبداً.

فالقضاء إذن: هو القرار النهائي الذي لا رَجْعَت فيه مع القدرة على انفاذه.

ب ـ المعنى المعجمي لِلأَجَل:

الأَجْلُ: مَصْدَر أجَلَ عَلَيْهِم شَرّاً يَأْجِلَهُ أجْلاً إذا جَنَاه عَلَيْهِ، الأَجَلُ: غاية الوقت في الموت. أي نهاية وقت المخلوق في هذه الحياة الدنيا. ومحل الدَّيْن. يقصدون: موعد سداد الدَّيْن. تقول: أَجَّلَ هَذَا الشَّيْء يأجِّلُه فَهُوَ آجِل، وَهُوَ نَقيض الْعَاجل. أي: لم يدفع كامل ثمن الشيء حين قبض السلعة.، والأجيلُ: المُؤَجَّل إلى وقت، وتقول: فعلت ذاك من أجل كذا، ومن جَرَّاءِه، والإجلُ: القطيع من بقر الوحش، وَجمعه الآجَال، والآجل: ضد العاجل والآجلة: الآخرة، والعاجلة: الدُّنيا، والمَأْجَل: شِبْهُ حَوْضٍ واسعٍ يُؤْجَلُ فِيهِ ماءُ القَناة إذا كَانَ قَلِيلاً، أَي يجْمَعُ، ثمَّ يُفَجَّر في الزّرع، والجميع: المَآجِل، والأجلُ: الضِّيق أيضاً، وتقول: أجَلَ عليهم شراً أجْلاً، أي: جناه وبحثه، والإجْلُ وَجَعٌ فِي الْعُنق، وبلغ الشيءُ أجَلَه إذا بلغ غَايَته، وَالْجمع آجال، والأجيل: الشَّرَبَة، لُغَة أَزْدِيَّة، وَهُوَ الطين يُجمع حول النَّخْلَة كالحوض تسقى فِيهِ المَاء، وأَجَل: تَصْديقٌ لخبرٍ يُخْبِرُك بِهِ صاحِبُك، فَنَقُول: فَعل فلَان كَذَا وَكَذَا، فَتُصَدِّقه بقَولك لَهُ: أجَلْ، وأَمَّا نعم، فإنَّه جَوَاب المستَفْهِم بكلامٍ لَا جحَدْ فِيهِ، يَقُول لَك هَل صَلَّيْت، فَتَقول: نعم[1].

نتيجة المعنى المعجمي للأجل:

(١) الفراهيدي، العين، جـ٦، صـ١٧٨، ابن دريد، جمهرة اللغة، جـ٢، صـ١٠٤٣، الهروي، أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري(ت: ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠١م، جـ١١، صـ١٣٢، الفارابي، أبو نصر، إسماعيل بن حماد الجوهري(ت: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط: الرابعة ١٤٠٧ هـ: ١٩٨٧ م، جـ٤، صـ١٦٢١، الكفوي، الكليات، صـ٢٧٣، الرازي، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني(ت: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ: ١٩٧٩م، جـ١، صـ٦٤، ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، جـ٧، صـ٤٨٧.

تدور هذه المادة حول: مآل الشيء وغايته.

ومنه: ـ جَنَى عَلَيْهِ شَرُّهُ الذي لَمْ يكن له وُجُوْدٌ قبل ذلك، وهو: الوقتُ المحددُ ـ ومنه: غاية الوقت، ومحل الدَّيْن ـ ومنه: آجِل يدفع باقي الثمن في وقت معلوم محدد ـ، والقطيع من بقر الوحش؛ لأَنَّ له بداية ونهاية، ومنه: الحَوْضِ الواسعِ، ومنه: الإِجْلُ وَجَعٌ فِي الْعُنق؛ لأَنَّه نتيجة لخطئ ارْتُكِبَ في السابق، ومنه: الآجل: ضد العاجل؛ لأَنَّه مآل لفعل سابق، ومنه: الآجلة: الآخرة؛ لأَنَّها نتيجة لِمَا فعله المرء في الدنيا، والأَجْلُ: الضِّيق؛ إِذْ كان نتيجةً لفعل أو خبر محدث، أو تذكره ـ أي: جَعَلْتَه في بؤرة اهتمامه ولَمْ يَكُنْ في تلك البؤرة قبل ذلك ـ؛ لذا يقال: بلغ الشيءُ أجَلَه إذا بلغ غَايَته أي: مآله، والشَّرِبَة لها بداية؛ أدَتْ إِلَى الرِّيّ فمآلها رِيّ المخلوقين، والخَبَرُ نهايته إلى المُخْبَرِ ـ المُتَلَقِي ـ وفيه معنى المآل؛ لِأَنَّهُ جوابٌ لخَبَرٍ مُصَدَّقٍ أُلْقِيَ وانتهى.

جمع المعنيين المعجمين.

لما كان القضاء يدل على إِحْكَامُ الشيء وحتميته؛ إذ هو فعل أو قول لا رَجْعَتَ فيه أبداً، فإِذَا نُسِبَ هذا القضاء إلى الله ـ سبحانه ـ كانت الدلالة أعظم وأجَلّ، فإِنْ كان القضاء في الآخرة ـ المرجع والمآل ـ كان الأمر أعظم إجلالاً ومهابةً، كَمَا أَنَّ فيه مزيداً من التَّصَبُّر للمؤمنين في هذه الحياة الدنيا.

المطلب الثالث: توجيه القراءتين:﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ و﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾.

أولاً: إعراب الآية الكريمة.

ـ من قرأ بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ﴾ و﴿أَجَلُهُمْ﴾ بالرفع، فقد بَنَى الفعل لِمَا لَمْ يُسَمَّ فاعِلُه فرفع به المفعول.

ـ ومن قرأ بفتح القاف والضاد وقلب الياء ألفاً﴿لَقَضَى إِلَيْهِمْ﴾ و﴿أَجَلَهُمْ﴾، بالنصب، فإِنَّه أَتَى بالفعل على بناء مَا سُمِّي فاعله، وأضمر الفاعل فيه ونصب المفعول بِتَعَدِّي الفعل إليه[1].

(١) ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، صـ١٧٩، الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، جـ٣، صـ٦.

. فمن قرأ ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ﴾ و﴿أَجَلُهُمْ﴾ ببناء الفعل لِمَا لَمْ يُسَمَّ فاعِلُه؛ لأَنَّ ذكر الفاعل . الله . قد تقدم في قوله:

﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ﴾ [يونس:١١]، وهو في المعنى كقول من بنى الفعل للفاعل، كما جاء البناء للفاعل في قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ [الأنعام:٢] فهذا الأجل الذي في هذه الآية هو الأجل المضروب للمَحْيَا، كَمِا أَنَّ الأجل في قوله: ﴿ لَقَضَي إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ﴾ كذلك.

فالواو استئنافية والجملة مستأنفة، ولو حرف شرط للامتناع، ويعجل فعل مضارع والله فاعل وللناس جار ومجرور متعلقان بـ"يجعل"، والشر مفعول به واستعجالهم مفعول مطلق وبالخير متعلقان بالمصدر الذي هو استعجالهم، واللام واقعة في جواب لو، و﴿لَقُضِيَ﴾ فعل ماض مبني للمفعول، وإليهم متعلقان بقُضِيَ وأجلهم نائب فاعل، والمعنى: لفرغ من أجلهم ومدتهم المضروبة، وأعرب سيبويه استعجالهم: حالاً، ويكون التقدير عنده استعجالاً مثل استعجالهم ثم حذف الموصوف وهو استعجال وأُقِيْمِتْ صفته مقامه، وقوله:﴿ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ الفاء عاطفة، ونذر عطف على مفهوم النفي؛ لأَنَّ لو يعجل متضمن معنى النفي للتعجيل كأَنَّه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي إليهم أجلهم فنذر، والفاعل مستتر تقديره نحن، والذين مفعول به، وجملة لا يرجون لقاءنا صلة، وفي طغيانهم جار ومجرور متعلقان بـ"يعمهون" وجملة يعمهون حال أي مترددين في عماهم متخبطين في دجنات آثامهم.

. والإعراب على البناء للفاعل تكون اللام في قوله سبحانه:﴿لَقَضَى إِلَيْهِمْ﴾ جواب لو من قوله:

، جـ:٣، صـ:٨.

﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ﴾ [يونس:١١]، فالمعنى ـ والله أعلم ـ: ولو يعجّل الله للناس دعاء الشرّ، أي ما يدعون به من الشرّ على أنفسهم في حال ضَجَرهم وبَطَرهم استعجالهم إياه بدعاء الخير، ونصب (استعجالهم) على مثل استعجالهم بالخير، أي: على نعت مصدرٍ محذوف، فأضيف المصدر إلى المفعول، وحذف الفاعل كقوله تعالى: ﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ ﴾ [فصلت:٤٩] فحذف ضمير الفاعل، والتقدير: ولو يعجّل الله للناس الشرَّ استعجالاً مثل استعجالهم بالخير، لقضي إليهم أجلهم، والمعنى: لفرغ من أجلهم ومدَّتِهم المضروبة للحياة، وإذا انتهت مدَّتُهم المضروبة للحياة، هلكوا، وهذا قريب من قوله تعالى:

﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ بِٱلْخَيْرِ دُعَآءَهُۥ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ﴾[الإسراء:١١]؛ لذا يقال: للمَيْت: مقضيٌ، كأَنَّه قَضَى إذا مات، وقَضَّى: فَعَّل، التقدير فيه: اسْتَوْفَىْ أَجَلَه، ولَمَّا كان قَضَى بمعنى فرغ، وفرغ، قد يَتَعَدَّى بحرف الجر مثل قوله تعالى: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾ [الرحمن:٣١] أمكن أن يكون الفعل يتعدى باللام كما تعدى بإلى، كما أن أوحى يتعدى بإلى في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا ﴾ [يوسف:١٥] ويتعدى باللام أيضاً كما في قوله تعالى: ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾[الزلزلة:٥]، فلمّا كان معنى قَضَى فرغ، وفرغ تعلّق بها إلى، كذلك تعلّقت بقضى اللام[١].

(١) الفارسي، الحجة للقراء السبعة، جـ٤، صـ٢٥٣، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش(ت : ١٤٠٣هـ)، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية، ط : الرابعة ، ١٤١٥ هـ، جـ٤، صـ٢١٢، محيسن،

ثانياً: معنى الآية الكريمة.

أ ـ معنى الآية مفصلاً:

﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۚ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [يونس:١١].

تعجيل الشيء: تقديمه على أوانه المقدر له أو الموعود به، والاستعجال به: طلب التعجيل له، والعَجَلَةُ من غرائز الإنسان كما قال تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء:٣٧] فاستعجاله بالخير لِشِدَّة حرصه على منافعه وقلة صبره عنها، واستعجاله بالضر لا يكون من دَأْبِه بل بسبب عارض كالغضب والجهل والعناد والاستهزاء ونحوه، أو للنجاة مما هو شر يحذره، والمراد بالشر العذاب وسُمِيَ به؛ لِأَنَّه أذى مكروه في حق المعاقب، ومعنى اسْتِعْجالَهُمْ بِالْخَيْرِ: والرحمة والعافية، وقضاء الأجل: انتهاؤه، ونذر: نترك، والطَغْيَان: مجاوزة الحد في الشر من كفر وظلم وعدوان، والعَمَه: التَرَدُدُ والتحَيُّرُ في الأمر أو في الشر[1].

قوله تعالى:﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ﴾ أي: لو أَجَبْناهم إذا دَعوْا على أنفسهم عند غَيْظِهم وضَجَرِهم لَعَجَّلنا إهلاكهم، ولَكِنْ تَحَمَّلنا ألا نُجِيْبَ دعائهم في الشرّ؛ لِمَا فيه مِنْ مَضَرَّة في النفس أو المال؛ لذا قال ابن عباس: هذا في قول الرجل عند الغضب لأهله وولده: لعنكم الله ولا بارك الله فيكم، وقال قتادة: هو دعاء الرجل على نفسه وأهله وماله بما يكره أَنْ يستجاب، و﴿اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾ كاستعجاله لهم في الخير بالإجابة إذا دعوه به﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ أي: لفرغ من هلاكهم، وعُجِّلَ لهم الموت، وهو الأجل ﴿فَنَذَرُ

محمد محمد سالم(ت:١٤٢٢هـ)، القراءات وأثرها في علوم العربية، ن: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١، ١٤٠٤هـ، جـ:١، صـ:٣٢٥.

(١) المراغي، تفسير المراغي، جـ:١١، صـ:٦٦، الخلوتي، أبو الفداء، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي(ت: ١١٢٧هـ)، روح البيان، دار الفكر، بيروت، جـ:٤، صـ:٢٠، (د: سنة ط، ت).

الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ أي: فندع الذين لا يخافون عقابنا، ولا يوقنون بالبعث ولا بالنشور﴿ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ في تمرّدهم وعتوّهم﴿ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون(١).

. فقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ﴾ متضمن معنى نفي التعجيل كأَنَّه قال: ولا نُعَجِّل لهم الشر ولا نقضي إليهم أجلهم، فنذرهم في طغيانهم، أو فَنُمْهِلُهُم، ونُفِيْضُ عليهم النِّعْمَة مع طغيانهم إِلْزَاماً للحجة عليهم،

. ومناسبة هذه الآية لما قبلها: أَنَّه تعالى لَمَّا ذكر عجب الناس من إِيْحَاء الله إلى رجل منهم، وكان فيما أُوْحِي إليه الإنذار والتبشير، وكانوا يستهزؤون بذلك ولا يعتقدون حلول ما أُنْذَرُوْهُ بهم فقالوا:﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[الأنفال:٣٢]، وقال إخبارًا عنهم: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ﴾[الحج:٤٧، العنكبوت :٥٣]، وقالوا: ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ﴾ [الأعراف:٧٠، هود:٣٢، الأحقاف:٢٢]، ثم استطرد مِنْ ذلك إلى وحدانيته تعالى، وذكر إِيْجاده العالم، ثُمَّ إلى تقسيم الناس إلى مؤمن وكافر، وذَكَرَ منازل الفريقين، ثم رجع إلى أَنَّ ذلك المُنْذَر به الذي طلبوا وقوعه عَاجِلاً لو وقع لَهَلَكُوْا، فَلَمْ يَكُنْ في إهلاكهم رجاء إيمان بعضهم، وإخراج مؤمن مِنْ صُلْبِهِم بل اقتضت حكمته أَنْ لا يُعَجِّل لهم ما طلبوه، اسْتِدْرَاجَاً لهم، أو أَمَلاً في إِيْمَانهم، أو إِيْمَان مَنْ يخرج مِنْ أَصْلَابِهِم(٢).

ب ـ معنى الآية إجمالاً:

بَيَّنَتْ الآية الكريمة أَنَّ من طباع البشر العجل والاستعجال لِمَا يطلب من النفع والخير وما يُنْذَر به مِن الشر، كما بَيَّنَتْ أَنَّ الله ـ تعالى ـ جعل نظام هذا العالم على الرفق بالمخلوقات واستبقاء الأنواع إلى آجال أرادها، وجعل لهذا البقاء وسائل

(١) الطبري، جامع البيان ، جـ:١٥، صـ:٣٣، القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك(ت: ٤٦٥هـ)، لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط: الثالثة، جـ:٢، صـ:٨٢، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، جـ:٢، صـ:٤١٢.

(٢) أبو حيان، البحر المحيط، جـ:٦، صـ:١٩.

الإمداد بالنِّعَم التي بها دوام الحياة، فالخيرات المفاضة على المخلوقات في هذا العالم كثيرة، والشرور العارضة نادرة ومعظمها من تصرفات الخَلْق، ومع ذلك لم يعجل الله العقاب لمن يستحقه، ولا يتعجل ـ سبحانه ـ بعجلة أحد؛ إذ لو عجل لهم العقاب الذي يستحقونه؛ لبطل النظام الذي وضع عليه العالم(١).

المطلب الرابع: جمع معاني الآية الكريمة، وأوجهها البيانية.

الواو من قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم ﴾ استئنافية، وجمل﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم ﴾ مستأنفة مسوقة؛ لتصوير حالة الناس وتَجْسِيْد ما انْطَوَى عليه كيانهم من مطاوعة لنوازع النفس التي تغضب وتتبرم بسواها فتبدر منها في حالات الأزمات النفسية أدعية يتمنون فيها الموت لأولادهم وذويهم ولَكِنَّ الله يتجاوز عن الاستجابة؛ لِأَنَّه لو استجاب لكل ما يَصْدُر عنهم لفرغ من هلاكهم(٢) كما أفاد قوله تعالى:﴿اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾ التنكيت؛ إِذْ انتصب على أَنَّه مصدر مشبه به فَأَصْلُه ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير، فقد كان سياق الكلام يقضي أَنْ يأتي بالمصدر المناسب لفعله وهو التعجيل ولَكِنَّه عَدَلَ إِلَى الاستعجال وهو مصدر؛ لنكتة بلاغية دقيقة؛ إِذْ كان من وراء الجنوح سِرَاً؛ إذ فيه إيذان وإشعار بسرعة إِجابته لهم واسعافه بطلبتهم، حتى كَأَنَّ استعجالهم بالشر يُعَجَّل لهم، ومدلول عَجَّل غير مدلول اسْتَعْجَل، لِأَنَّ عَجَّل يدل على الوقوع، واستعجل يدل على طلب التعجيل، وذاك واقع من الله، وهذا مضاف إليهم، تقديره: ولو يعجل الله للناس الشر إذا استعجلوا به استعجالهم بالخير، لِأَنَّهم كانوا يستعجلون بالشر ووقوعه على سبيل التهكم، كما كانوا يستعجلون بالخير، والباء في قوله: بالخير؛ لتأكيد اللصوق، وأصله: استعجالهم الخير، فدَلَّتْ المبالغة بالسين والتاء وتأكيد اللصوق على

(١) المراغي، تفسير المراغي، جـ١١، صـ٦٦، عاشور، التحرير والتنوير، جـ١١، صـ١٠٥.

(٢) محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش(ت : ١٤٠٣هـ)، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية، ط : الرابعة ، ١٤١٥ هـ، جـ٤، صـ٢١٢.

الامتنان بِأَنَّ الخير لهم كثير ومكين[١]. واتَّصل قوله تعالى:﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ بقوله تعالى ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ﴾ لِتَضَمنه معنى نفى التعجيل، كَأَنَّه قيل: ولا نعجل لهم الشر، ولا نقضي إليهم أجلهم فنذرهم فِي طُغْيانِهِمْ أي: فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم، إِلْزَاماً للحجة عليهم[٢]، وقوله تعالى:﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ﴾ أي نترك، فالفاء للعطف على مقدر لا على يعجل إذ لو كان كذلك لدخل في الامتناع الذي يقتضيه لو، وليس كذلك؛ لِأَنَّ التعجيل لم يقع وتركهم في طغيانهم يقع كما في قوله تعالى:﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ لا يتوقعون جزاءَنا في الآخرة التي هي محل اللقاء؛ لِإِنْكارهم البعث فِي طُغْيانِهِمْ الذي هو عدم رجاء اللقاء وإنكار البعث والجزاء، والإتيان بالموصولية ﴿الَّذِينَ﴾ في تعريف الكافرين للدلالة على أَنَّ الطغيان أشده إنكارهم البعث، ولِأَنَّه صار كالعلامة عليهم[٣].

- ومن دقائق بلاغة القرآن المعجزة تحري الحقائق بأوجز العبارات وأجمعها لمحاسن الكلام مع مخالفة بعضها في بادي الرأي لما هو الأصل في التعبير كالمقابلة هنا بين الضر والخير، وإنما مقابل الضر النفع، ومقابل الخير الشر، فنكتة المقابلة أَنَّ الضر من الله تعالى ليس شراً في الحقيقة، بل هو تربية واختبار للعبد يستفيد به من هو أهل للاستفادة أخلاقاً وآداباً وعلماً وخبرة، وقد بدأ بذكر الضر؛ لأَنَّ كشفه مقدم على نيل مقابله، كما أن صرف العذاب في الآخرة مقدم على النعيم فيها، ثم ذكر الخير في مقابل الضر دون النفع فأفاد أن ما ينفع الناس من النعم إنما يحسن إذا كان ذلك النفع خيراً لهم بعدم ترتيب شيء من الشر عليه، والآية فيها دليل آخر على أنه لا يجوز للعاقل أن

(١) أبو حيان، البحر المحيط، جـ٦، صـ١٩، ابن عاشور، التحرير والتنوير، جـ١١، صـ١٠٥، محيي الدين، إعراب القرآن وبيانه، جـ٤، صـ٢١٢.

(٢) الزمخشري، جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد(ت: ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الثالثة، سنة: ١٤٠٧ هـ، جـ٢، صـ٣٣١.

(٣) الخلوتي، روح البيان، جـ٤، صـ٢٠، ابن عاشور، التحرير والتنوير، جـ١١، صـ١٠٥.

يتخذ غير الله ولياً؛ إذ كل ما يحتاج إليه المرء في الدنيا والآخرة من كشف ضر وصرف عذاب أو إيجاد خير ومنح ثواب فإنَّما يطلب مِن الله تعالى وحده[١].

.والمتأمل في هذا الآية يَجِدُ الجملةَ الفعلية على حقيقتها وما ينبغي لها في قراءة ابن عامر ويعقوب

فـ قَضَىٰ فعل، والفاعل: مُقَدَّر[٢] مشار إليه قبلُ بقوله:﴿يُعَجِّلُ اللَّهُ﴾ والمفعول: أجلهم، والمعنى: قضى الله أجل المخلوقين في وقت محدد لا يتغير أبداً، فأثبت حتمية الموت في الوقت المحدد مسبقاً.

. أما القراءة الأخرى بالبناء لمن لم يُسَمَّ فاعله "قُضي" ففيها معنى السرعة؛ إذ أخذ المفعول حكم الفاعل فارتفع بعد أَنْ كان منصوباً، فوصل الفعل إلى مفعوله مباشرة، إِذْ أَخَذَ هذا الأمر من الفاعل مسبقاً وعلم أَنَّ الأَجَلَ لَمْ ولَنْ يَتَغَيَّر؛ فقد بُرْمِج .وُضِعَ في كِيَانِه ونِظامه مسبقاً .قبل خَلْقِهِ على أَنْ يموت وتخرج روحه في هذا الوقت المُحَدَد، فلا يحتاج إلى أمر من فاعله وقتها؛ لِأَنَّ الفاعل أَعَطَى الأمرَ قبلُ وانتهى حكمه وقضاؤه.

. كما نلحظ أيضًا أَنَّ الفاعل على القراءتين لم يذكر في هذه الجملة الشريفة فالذي يتراءى للمتأمل . والله أعلم . أن الموت لا يحتاج إلى إثبات؛ لِأَنَّه أمرٌ مشاهَدٌ بَدِهِيٌّ لا يحتاج إلى دليل، إنما أَدَلَّ الدليل على صدق ما أخبر به النبي . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . يكون في مرحلة الموت وما بعدها، فالموت هو الحجة الدامغة والبرهان الساطع والنتيجة الحتمية على وُجُوْد خالق للمخلوقات والأكوان جميعاً؛ لذا ذُكِرَ الفعل على القراءتين بدون ذِكْرٍ لفاعله؛ إذ هو . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . المعلومٌ بفطرة المخلوقين، والأدلة الكونية بجانب ما أَتَتْ به الرسلُ من براهين وحجج.

---

(١) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، جـ٧، صـ٢٧٩.

(٢) يطلق عليه علماء العربية بأنه مستتر، ولا ينبغي إِنْ كان الفاعل لفظ الجلالة . الله . أو اسم من أسمائه تعالى أن يطلق عليه هذا الإطلاق حتى وإِنْ كان على سبيل المجاز.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

الخاتمة

أ. أهم النتائج:

١. أظْهِرتْ القراءتانِ ﴿لَسَاحِرٌ﴾ و ﴿لَسِحْرٌ﴾ معاً تخبط المشركين من جانب، وكَذِبِهم وافترائِهم على القرآن، وعلى سيدنا النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ؛ إذ وصَفُوْا القرآن الكريم بالسِّحر، كما وصَفُوْا سيدنا النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بالساحر، وذلك لَمَّا عجزوا أَنْ يأتوا بمثل القرآن، كما عَجَزَتْ ألسنتهم عن وصفه ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بصفات الذَّم ـ حاشاه ـ بعد أَنْ شهدوا بأنفسهم أمانَتَهُ وصدق حديثه؛ إذ أصبحت الصفتان أَعْلَمُ عندهم من اسمه الصريح محمد ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ والعجب أَنَّ المشركين استعملوا لفظ السِّحْر الذي من معانيه الفطنة والذكاء، فسبحان الله الذي جعل المشركين يَمْدَحُوْا القرآن ونبيه ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ من حيث يريدون قَدْحَهُمَا.

٢. دَلَّتْ القراءتان ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ﴾ و ﴿أَنَّهُ يَبْدَأُ﴾ على معنيين مختلفين من وجه إذ جاءت قراءة ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ﴾ بكسر الهمزة مستأنفة؛ لِتَدُلَّ على أَنَّه ـ سبحانه ـ الذي بدأ الخلق لا أحد سواه، ثم جاءت قراءة ﴿أَنَّهُ يَبْدَأُ﴾ بفتح الهمزة تعليلاً للقراءة الأولى وتأكيداً لحقيقة الوعد، فَمَنْ يقدر على الابتداء، يكون قادراً أيضاً على الإعادة؛ لتبين عدل الله ـ تعالى ـ في خَلْقِه؛ إذ أوجد الله ـ تعالى ـ هذا اليوم ـ يوم القيامة ـ لحساب مخلوقاته جميعاً على ما فعلوه؛ ليجزيَ المحسن جنات الخلود، والمسيء بما يستحق.

٣. كانت قراءة ﴿ضِيَاءً﴾ وصفاً حياً واقعياً على انتشار ضوء الشمس وقوة حرارته، ثم جاءت قراءة ﴿ضِئَاءً﴾؛ لتبين للمؤمنين قدرته تعالى على إبدال المخلوقات من حال إلى آخر كما أُبْدِلَت الياء وقُلِبَت وغُيِّرَت إلى مكان آخر فكذا الشمس

بقوة ضِيَائِها تَنْقَلِب وتُبَدَّل أَحْوَالُها كما قال تعالى:﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَت﴾[التكوير :١] فلا يعجزه شيء مِنْ خلقه مهما بلغتْ قوته.

٤. وبمجموع القراءتين ﴿ضِيَاءً﴾ و ﴿ضِئَاءً﴾ تظهر للمَخْلُوْقِيْن عظيم قدرة الله، وكمال فضله ونِعَمِه على خلقه، مع انكسار وضعف مَخْلُوْقَاته مهما كانت قوتهم بادية.

٥. . من قرأ بالياء ﴿يُفَصِّلُ﴾ فالمعنى: قل يا محمد لقومك الله يفصل البراهين والآيات ويدبر الأمر، ومن قرأ بالنون في قوله تعالى ﴿نُفَصِّلُ﴾ فهو إخبار عن فعل اللَّهِ ـ تعالى ـ بلفظ الجماعة؛ على وجه الالتفات من الغيبة إلى المتكلم المعظم نفسه، وغرض الالتفات؛ لفت انتباه السامع، فالتفصيل ـ هو: البيان والوضوح ـ وهذا البيان يعقله العالِمون أصحاب النُهَى، الذين ينتفعون بالأَدِلَّة والحجج والبراهين والآيات المفصلات.

٦. تكاملت القراءتان:﴿لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ﴾ و ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾؛ إذ أَكَّدَتْ القراءة الأولى بالبناء للفاعل أَنَّ الله تعالى قضى أجل المخلوقين في وقت محدد لم ولن يَتَغَيَّر أبداً؛ إذ جاءَتْ الجملةَ الفعلية على حقيقتها وما ينبغي لها، فأثبتت حتمية الموت في الوقت المحدد مسبقاً، أما القراءة الأخرى بالبناء لمن لم يُسَمَّ فاعله ففيها معنى السرعة؛ إذ أخذ المفعول حكم الفاعل فارتفع بعد أَنْ كان منصوباً، فوصل الفعل إلى مفعوله مباشرة، فقد أَخَذَ هذا الأمر من الفاعل مسبقاً وَوُضِعَ في كِيَانِه ونِظامِه مسبقاً فإذا جاء وقته المحدد مات من فوره.

٧. أفاضت القراءات القرآنية ـ في جمال وإيجاز ـ دِلَالَاْت اسْتَقَى منها المفسرون معانٍ اتَّسَقَتْ مع سياق آيِهَا، واتَّسَعَتْ مَدْلُوْلَاْتِهَا، وهذا يُعَدُّ باب من أبواب إعجاز القرآن الكريم وبلاغته.

ب. التوصيات:

١. إنشاء فريق عمل من المتخصصين في القراءات القرآنية من جانب، كذا المتخصصين في التفسير وعلوم القرآن من جانب آخر؛ لدراسة القراءات القرآنية وخاصة فرش الحروف ـ الكلمات القرآنية التي فيها أكثر من قراءة في موضعها دون نظائرها ـ؛ لدراسة تلك المفردات في آيِهَا من جهة، وسورها من جهة أخرى؛ بياناً لمعانيها واتِّسَاقِهَا من ناحية، وأوجهها البيانية والبلاغية من ناحية أخرى.

٢. التوسع في دراسة كتب تفسير القرآن التي تَتَبَّعَتْ القراءات، مع بيان وجه إفادتها من تلك القراءات ومناقشتها؛ للكشف عن كنوز معانيها من جانب، كذا صحة عربيتها من جانب آخر.

المراجع

- أحمد مختار عبد الحميد عمر(ت: ١٤٢٤هـ)، بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب
- البغوي، الشافعي، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء(ت : ٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط : الأولى ، ١٤٢٠ هـ.
- أبو البقاء، الحنفي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، الكفوي(ت: ١٠٩٤هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور(ت: ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى، سنة: ٢٠٠١م.
- البناء، شهاب الدين، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ(ت: ١١١٧هـ)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط: الثالثة، ٢٠٠٦م :١٤٢٧هـ
- ابن الجزري، شمس الدين، أبو الخير ، محمد بن محمد بن يوسف(ت : ٨٣٣ هـ)، النشر في القراءات العشر، تحقيق : علي محمد الضباع (ت ١٣٨٠ هـ)، المطبعة التجارية الكبرى.
- ابن الجزري، شمس الدين، أبو الخير ، محمد بن محمد بن يوسف(ت: ٨٣٣هـ) تحبير التيسير في القراءات العشر، تحقيق: د. أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان، الأردن، عمان، ط: الأولى، ١٤٢١هـ: ٢٠٠٠م.
- جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية، خصائص السور، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، ط: الأولى، سنة: ١٤٢٠ هـ

- ابن جني، أبو الفتح، عثمان الموصلي(ت: ٣٩٢هـ)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط: ١٤٢٠هـ: ١٩٩٩م.
- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي(ت: ٧٤٥هـ)، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط: ١٤٢٠هـ.
- ابن خالويه، إعراب القراءات السبع وعللها، جـ١، صـ٢٦١، الأزهري، محمد بن أحمد(ت:٣٧٠هـ)، معاني القراءات للأزهري، مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ط١، سنة: ١٩٩١م.
- الخراط، أبو بلال، أحمد بن محمد، المجتبى من مشكل إعراب القرآن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط: ١٤٢٦هـ.
- الخلوتي، أبو الفداء، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي(ت: ١١٢٧هـ)، روح البيان، دار الفكر، بيروت، جـ٤، صـ٢٠، (د: سنة ط، ت).
- ابن دريد، الأزدي، أبو بكر، محمد بن الحسن(ت: ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: الأولى، ١٩٨٧م.
- الرازي، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني(ت: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط: ١٣٩٩هـ : ١٩٧٩م.
- الرازي، زين الدين، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي(ت: ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط: الخامسة، ١٤٢٠هـ: ١٩٩٩م.
- الزَّبيدي، الملقّب بمرتضى، أبو الفيض، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني(ت: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

- الزجاج، أبو إسحاق، إبراهيم بن السري بن سهل(ت: ٣١١هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط: الأولى ١٤٠٨ هـ: ١٩٨٨م.
- الزُّرْقاني، محمد عبد العظيم(ت: ١٣٦٧هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: الطبعة الثالثة.
- الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر(ت: ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الأولى، ١٣٧٦ هـ: ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.
- الزمخشري جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد(ت: ٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ: ١٩٩٨ م.
- الزمخشري، جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد(ت: ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الثالثة، سنة: ١٤٠٧ هـ
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله(ت: ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ: ٢٠٠٠ م.
- السمرقندي، أبو الليث، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم(ت: ٣٧٣هـ)، بحر العلوم، دار الكتب العلمية، ط: ١٤١٣: ١٩٩٣.
- السمين الحلبي أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم(ت: ٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر(ت: ١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: الثالثة، ١٤٠٨ هـ:١٩٨٨ م.
- ابن سيده، المرسي، أبو الحسن، علي بن إسماعيل(ت: ٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ:٢٠٠٠م.
- الشوكاني، اليمني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله(ت: ١٢٥٠هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط: الأولى: ١٤١٤ هـ
- الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، تحت عنوان: كلام في فن المعاني والبيان، حققه ورتبه: أبو مصعب، محمد صبحي بن حسن حلاق، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء – اليمن.
- الصفاقسي، أبو الحسن، علي بن محمد بن سالم، النوري، المقرئ، المالكي(ت: ١١١٨هـ)، غيث النفع في القراءات السبع، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، ط: الأولى، ١٤٢٥ هـ: ٢٠٠٤ م، ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ: ٢٠٠٨ م.
- الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي(ت: ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ:٢٠٠٠م.
- ابن عاشور، التونسي، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر(ت : ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ط: ١٩٨٤ هـ
- ابن عطية، الأندلسي، المحاربي، أبو محمد، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام (ت: ٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق:

عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى: ١٤٢٢ هـ.

- العكبري، أبو البقاء، عبد الله بن الحسين بن عبد الله(ت : ٦١٦هـ)، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق : علي محمد البجاوي، عيسى البابلي الحلبي وشركاه.
- الفارابي، أبو نصر، إسماعيل بن حماد الجوهري(ت: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط: الرابعة ١٤٠٧ هـ: ١٩٨٧ م.
- الفارسيّ، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار(ت: ٣٧٧هـ)، الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط: الثانية، ١٤١٣ هـ: ١٩٩٣م.
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي(ت:٢٠٧هـ)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ط: دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم(ت: ١٧٠هـ)، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- الفيروزآبادى، مجد الدين، أبو طاهر محمد بن يعقوب(ت: ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: الثامنة، ١٤٢٦ هـ: ٢٠٠٥ م.
- الفيومي، الحموي، أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي (ت: نحو ٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت.

- القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد(ت: ١٤٠٣هـ)، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك(ت: ٤٦٥هـ)، لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط: الثالثة.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ط: ١٩٨٩.
- محمد بكر إسماعيل (ت: ١٤٢٦هـ)، دراسات في علوم القرآن، دار المنار، ط: الثانية ١٤١٩هـ:١٩٩٩م.
- محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن علي خليفة القلموني، الحسيني(ت: ١٣٥٤هـ)، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: ١٩٩٠ م.
- محيسن، محمد محمد سالم(ت:١٤٢٢هـ)، القراءات وأثرها في علوم العربية، ن: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١، ١٤٠٤هـ.
- محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش(ت : ١٤٠٣هـ)، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية، ط : الرابعة ، ١٤١٥ هـ.
- المراغي، أحمد بن مصطفى(ت: ١٣٧١هـ) تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط: الأولى، ١٣٦٥ هـ: ١٩٤٦م.
- المناوي، القاهري، زين الدين، محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي(ت: ١٠٣١هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، ٣٨ عبد الخالق ثروت، القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٠هـ:١٩٩٠م.
- ابن منظور، جمال الدين، أبو الفضل، محمد بن مكرم بن على، الأنصاري الرويفعى الإفريقى(ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط: الثالثة، سنة: ١٤١٤ هـ.

- النَّحَّاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي(ت: ٣٣٨هـ)، إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، سنة: ١٤٢١ هـ.
- النسفي، أبو البركات، عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين(ت: ٧١٠هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط: الأولى، سنة: ١٤١٩ هـ: ١٩٩٨م.
- النعماني، الحنبلي، الدمشقي، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل(ت: ٧٧٥هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩هـ:١٩٩٨م.
- الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى (ت: ١٣٦٢هـ) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.
- الهروي، أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري(ت: ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠١م.
- وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط: الثانية ، ١٤١٨هـ.